ديوان

عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي

شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

دراسة • جمع • تحقيق

دكتور حسن محمد باجوده

رئيس قسم اللغة العربية

بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

الناشر

مكتبة

دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

ديوان

عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي

شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

دراسة . جمع . تحقيق

دكتور حسن محمد باجوده
رئيس قسم اللغة العربية
بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

الناشر
مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

القـــاهرة
مطبعة السنة المحمديه
١٧ شارع شريف باشا الكبير ـ عابدين

رقم إيداع دار الكتب
٤٨٧١ لسنة ١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

هذا العمل ، عن عبد الله بن رواحة ، الأنصارى الخزرجى ، ابتدأ بمحاولة جادة لجمع شعره من المصادر المطبوعة ، وربما وقفنا على بعض مخطوطات المطبوع ، بقصد التثبت أو التصحيح ، ولم نوفق بعد العثور على مخطوط ديوانه ، وليس الأمل قوياً فى العثور عليه . وهذه المحاولة لا يمكن أن يُدَّعَى فيها الكمال بحال ، وإن كانت النية حريصة على ذلك . وهذه طبيعة الأعمال الأدبية ، فهى ، فى مثل هذه الحالات ، لا تعرف الكلمة النهائية مطلقاً . وقد رتبت الشعر الذى نسب إليه ترتيباً أبجدياً ، ذاكراً مصدر كل نص أو مصادره ، ومناسبته ، مع ذكر اختلاف الروايات ، وشرح ما يحتاج إلى شرح ، ناسباً كل فضل إلى صاحبه .

وقد سبق ذلك وقفة سريعة عند الشعر الذى ينسب لابن رواحة وسواه فى آن واحد ، مع تبين الرأى الراجح إن كان ذلك ممكناً . وتلى ذلك دراسة شعره الجاهلى فالإسلامى .

والحقيقة أن الحديث ممتع عن ابن رواحة الشاعر المخضرم ، ففى الوقت الذى ينطبق عليه تماماً فى الجاهلية قوله تعالى « وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ينطبق عليه تماماً فى الإسلام ، الجزئيات المتقدمة من الآية نفسها فى قوله تعالى « هو الذى بعث فى الأُمِّيِّين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمْ الكتاب والحكمة » .

حقاً لقد ضاع أكثر شعر ابن رواحة الجاهلي والإسلامي ، ولكن الذي وصلنا من شعره الجاهلي جميعه في النقائض ، وذلك النوع من الشعر الجاهلي كله فخر مقيت ، وهجو ، ومغالطات إلى آخر العناصر التي يتكون منها شعر النقائض ، وهو يصور الأوس والخزرج ، وهم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية آنذاك ، قصيري النظر محدودي الإدراك . وأنا ، بإيرادي هذه الحقائق ، لا أريد الإساءة إلى ابن رواحة أو سواه إنما أريد أن أقول : إننا حين ننظر إلى الانتقال الحسن الذي أحدثه الإسلام في ابن رواحة وفي آلاف الشخصيات سواه ، في هذه الفترة القصيرة جداً ، التي لا يكاد يصدقها عقل بشري ، فإننا نستطيع أن نقول بكل اطمئنان : إن الإسلام أحدث أعظم انتقال خاطف ، إلى الحسن ، عرفته البشرية في تاريخها الطويل .

وقد صهر الإسلام ، دين القوة والعزة والسلام ، الأمة العربية في بوتقة واحدة . فبعد أن كان الأخ يصارع أخاه ولا يكاد يفكر في سواه ، إذا بهم وقد صاروا مسلمين لله رب العالمين ، ينطلقون ، إذعاناً لأمره تعالى ، في كل صوب يرفعون راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . ويأتون ، بعون الله ، وتوفيقه بالعجب العجاب . وهنا نستطيع أن نقول أيضاً . إن أمة الإسلام تستطيع أن تفخر بأن عندها القدرة لأن تقدم ترجمات دقيقة لآلاف الشخصيات التي لعبت أدواراً هامة ، بألسنتها وأيديها ، في الفترات المبكرة جداً من تاريخ الأمة الإسلامية . إنها فترات من الوضوح التام للدرجة التي يُتعذَّر وجود نظير لها من غير الإسلام . وتتميز بعض هذه الشخصيات ، بسبب بعض الخصال التي تعرف بها ، والأدوار المتميزة التي لعبتها ، بالصور الواحدة التي نجدها لها في كل المصادر التي كتبت عنها . ومن بين هذه الشخصيات ، تبدو شخصية عبد الله بن رواحة ، مثال الشاعر المؤمن ، ظاهرة المعالم واضحة القسمات .

وابن رواحة ، فوق ذلك ، واحد من ملايين الشهداء ، خلال التاريخ الإسلامى المجيد ، الذين بذلوا أرواحهم رخيصة فى سبيل الله ، وليس بخاف الوضع الأليم الذى تعيشه الأمة الإسلامية هـذه الأيام . . ونحن إن أردنا أن نزيل هذه الوصمة عن جبيننا ، وقطعاً نحن نريد ، فإن استطعنا أن نرضع أطفالنا روح الجهاد فى سبيل الله ، جنباً إلى جنب مع لبن ثُدِىّ الأمهات فلنفعل . ونسأل الله عز وجل أن نسمع فى القريب العاجل عن كتائب جيش لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقد اندفعت فى كل اتجاه كى تعيد الحق إلى نصابه . ونحب أن نقول بهذا الصدد إن هذه الكتائب حينما توجد ، فستكون الهدف الأهمّ لكل أعداء الله أينما وجدوا . ونحب أن نقول أيضاً : إن هذه الكتائب حينما توجد ، فإننا وقتها فقط نستطيع أن نقول : لقد أوشكنا أن نقطع الخطوة الأولى فى الطريق الصحيح ، الطويل جداً ، الملىء بالمخاطر . « وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ » صدق الله العظيم .

وفى الختام أسأل الله عز وجل التوفيق والسداد فى القول والعمل ، إنه على ما يشاء قدير .

د . حسن محمد باجوده
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة

مكة المكرمة { السبت ، الرابع والعشرون من شهر صفر عام ١٣٩٢ هـ

فهرست بالموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	ج
فهرست بشعر ديوان ابن رواحة	ز
تمهيد	١
نبذة عن عبد الله بن رواحة .	١
شعر عبد الله بن رواحة .	٢
دراسة شعر عبد الله بن رواحة الجاهلى .	٩
شعر النقائض ودور عبد الله بن رواحة فيه .	٩
قصيدة قيس بن الخطيم فى يوم معبس ومضرس .	١١
النقائض ويوم الفضاء .	١٨
النقائض ويوم البقيع	٢٩
النقائض ويوما حاطب وبعاث .	٣١
دراسة شعر عبد الله بن رواحة الإسلامى .	٤١
روح إسلامية .	٤٣
الرجز وحفر الخندق .	٥١
الرجز وعمرة القضاء .	٥٢
شعره وغزوة مؤتة .	٥٥
رموز المصادر والمراجع .	٧٦
ديوان عبد الله بن رواحة .	٧٧
خاتمة	١١٠
فهرست بالمصادر والمراجع	١١١

فهرست بشعر ديوان ابن رواحة

صفحة

إذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء ٧٩

لعمري لقد حككت رحى الحرب بعدما أطارت أؤيا قبل شرقا ومغربا ٨١

يا قيس أنتم شرارُ قومكم قدماً ، وأنتم أغثهم نسبا ٨٢

أشاقتك ليلى في الخليط المجانبِ نعم فرشاشُ الدمع في الصدرِ غالبي ٨٣

رميناك أيام الفجارِ فلم تزل حمياً فمن يشرب فلست بشاربِ ٨٦

يا نفس إلا تقتلي تموتي ٨٧

لكنني أسألُ الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ٨٨

تذكر بعد ما شطّت نجودا وكانت تيّمت قلبي وليدا ٨٩

رحم الله نافع بن بديلٍ رحمة المبتغي ثواب الجهاد ٩٢

تخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضرُ ٩٣

يا رسول المليك أن لساني راتقٌ ما فتقتُ إذ أنا بورُ ٩٥

فلم أر كالإسلام عزاً لأهله ولا مثل أضياف الأراشي معشرا ٩٥

لو لم تكن فيه آيات مبيّنة كانت بداهته تنبيك بالخبرِ ٩٥

كذبت لقد أقمت بها ذليلاً تقيمُ على الهوان بها وتسرى ٩٦

وفينا رسولُ الله يتلو كتابه إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطعُ ٩٦

فسرنا إليهم كافة في رحالهم جميعاً علينا البيض لا نتخشعُ ٩٦

شهدتُ ولم أكذبْ بأن محمداً

رسولُ الذي فوق السماوات من علُ ٩٧

لما رأيتُ بني عوف وإخوتهم كعبا ، وجمع بني النجار قد حفلوا ٩٧

صفحة

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويلُ ٩٨
يا زيدُ زيدَ اليعملات الذُّبَّل
خلف السلامُ على امرىء ودعته في النخل خير مشيَّع وخليل ١٠٠
خلوا بني الكفار عن سبيله
جلبنا الخيل من أجأ وفرعٍ تُغَرُّ من الحشيش لها العُكومُ ١٠٢
أتاني الذي لا يقدر الناس قدره لزينب فيهم من عقوق ومأثم ١٠٤
شهدت بأن وعد الله حقٌّ وأن النار مثوى الكافرين ١٠٦
يارب لولا أنتَ ما اهتدينا ١٠٦
باسم الإله وبه بدينا ١٠٧
أقسمت يا نفس لتنزلنّه ١٠٨
وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد لميعاده صدقاً وما كان وافيا ١٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

نبذة عن عبد الله بن رواحة :[1]

هو[2] عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجي الشاعر المشهور ، يكنى أبا محمد . ويقال : كنيته أبو رواحة ويقال : أبو عمرو[3] ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة ، خزرجية أيضاً . وليس له عقب من السابقين الأولين من الأنصار. وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة .

« وهو خال النعمان بن بشير ، وكان عبد الله يكتب فى الجاهلية ، وكانت الكتابة فى العرب قليلة . . . . . . وهو صاحب المناقب المذكورة فى الإسلام والأيام المشهورة[4] وكان فى الجاهلية عظيم القدر فى قومه ، سيداً من ساداتهم، وكان يناقض قيس بن الخطيم ، الشاعر الأوسى الجاهلى[5] .

---

(١) ترجمته فى ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ والخزانة ٢ / ٢٦٤ والإصابة والاستيعاب والمؤتلف والمختلف « فى ترجمته » .

(٢) الإصابة ٢ / ٢٩٨ .

(٣) لعل الأخيرة هى الصحيح ، فهى التى جاءت فى كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ص ٢٨٩ .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .

(٥) انظر طبقات ابن سلام ص ١٨٦، والإصابة (فى ترجمته) ٢/٢٩٩ ومعجم الشعراء.

وكما كان الإسلام فى فجره ، فى حاجة إلى الذين يدافعون عنــه بأنفسهم وأموالهم ، كذلك كان فى حاجة إلى الذين يدافعون عنه بألسنتهم وأفكارهم ومشاعرهم ، فقد انبرى عدد من مشركى شعراء مكة والطائف يهاجمونه وقد أنزل الله فى حق هذه الفئة قوله « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون »[١] وقد فهم شعراء المدينـة المنورة المحسنون ، الذين كانوا يذودون عن الإسلام ، ويردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة بأن هذه الأبيات تشملهم . فقد « قال عبد الله : قد علم الله أنى منهم »[٢] فأنزل الله تعالى[٣] إلا الذين آمنوا وعملوا الصـالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »[٤] .

شعر عبد الله بن رواحة :

لعبد الله بن رواحة شعر فى الجاهلية والإسلام ، ولم يحدث خلاف فى نسبة الشعر الجاهلى القليل الـكمية له لوضوح الدور الذى قام به مع قيس بن الخطيم بالذات ، فهو خزرجى وابن الخطيم أوسى . وكان دورهما فى النقائض واضحاً . وفى مثل هذه المواقف توجد عادة فئات تحفظ شعر الأول فى جانب ، والثانى فى جانب آخر وقد يوجد من يعنى بشعر الجانبين ويحرص على ترديده . فقد روى مثلا عن طُوَيس ، المغنِّى المدنى الأموى المشهور ، الذى كان يضرب به المثال

---

(١) الشعراء آيات ٢٢٤ — ٢٢٦ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ .

(٣) الشعراء آية ٢٢٧ .

(٤) انظر تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ والاستيعاب ٢ / ٢٨٥ والخزانة ٢ / ٢٦٤ .

فيقال : أشأم من طويس[1] أنه كان ولعاً بالشعر الذى قالته الأوس والخزرج فى حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء فقلّ مجلس اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء . فنهى عن ذلك فقال : والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدونى التراب ،وذلك لكثرة تولع القوم به فكان يُبْدى السرائر ويخرج الضغائن ، فكان القوم يتشاءمون به[2] .

وإذا تأملنا شعر ابن رواحة الجاهلى ، وكله فى النقائض ، فإنه يتضح لنا أنه وصلتنا ، بين هذا الشعر ، قصيدة واحدة كاملة فقط ، هى النقيضة الدالية ، ومطلعها .

تذكر بعد ما شَطَّتْ نجودا　　　وكانت تيَمّتْ قلبي وليدا

ولو نظرنا إليها من حيث الكم لانضح لنا أنها تزيد فى العدد على قصيدة ابن الخطيم التى جاءت فى نفس الوزن والقافية ، والتى أراد ابن رواحة نقضها وكل شعر ابن رواحة الجاهلى الباقى يرد به على آخرين . فإذا اتخذنا رغبة ابن رواحة فى كون نقيضته أطول من قصيدة خصمه قياساً على هذه القصيدة الوحيدة الكاملة ، أو على أقل تقدير تكون فى حدود عددها ، وعرفنا أن قصائد ابن الخطيم بالذات وصلتنا فى ديوانه كاملة ، فإننا نستطيع عن طريق هذه المقارنة أن ننتهى إلى أن أكثر شعر ابن رواحة الجاهلى قد ضاع . لأن هذه النقائض لم تصلنا كاملة من ناحية ومن ناحية أخرى لم نوفق بعد فى العثور على مخطوط ديوانه الذي نعتقد أنه يتضمن شعراً جاهلياً كثيراً للدور البارز الذى كان يلعبه ابن رواحة بيده ولسانه ضد الأوس .

---

(١) انظر مجمع الأمثال للميدانى .

(٢) غ « ق » ٢ / ١٧٥ .

أما شعره الإسلامى الذى لصق به ولم يكد ينسب لغيره فهو الشعر الذى يرتبط بأعمال إيجابية معينة قام بها ابن رواحة صاحب الدور البارز فى صدر الإسلام . وهناك أشعار ليس لابن رواحة فى مناسباتها أدوار ايجابية بل اقتصر على الانفعال فالتعبير ، وهنا نجد ابن رواحة مظلوماً فى هذا المجال . فنحن نظن أن لابن رواحة أشعاراً من هذا القبيل لم يصلنا بعضها ، واختلط البعض الآخر بشعر المعاصرين له ، وبالذات حسان بن ثابت وكعب بن مالك . ونحن نظن من ناحية أخرى أن ابن رواحة ، بشأن شعره الملازم لأعماله الإيجابية محظوظ . فقد وصلنا هذا الشعر فى أحسن الصور الممكنة . ومن الأمثلة على ذلك شعره منذ توجهه إلى مؤته حتى استشهاده . ونحن نعتقد أن هنالك العديد من الشعراء المعاصرين له الذين كانت لهم أمثال تلك الأنواع من الشعر ومع ذلك هى لسوء الحظ لم تصلنا .

وسنحاول أن نمر سريعاً على الشعر الذى نسب له ولغيره ، مبينين ، فى إيجاز ، رأينا ما أمكن .

هناك أولا الشعر الذى ليس لابن رواحة فى مناسباته أدوار إيجابية ، وقلنا إنّه مظلوم بشأنه ، فهو ينسب له حيناً وببساطة لايلبث أن ينسب لسواه . هذه الظاهرة تلاحظ بالنسبة لما يلى .

المقطوعة التى مطلعها :

لعمرى لقد حَكَتْ رحى الحربِ بعدما　　أطارت لؤيا قبلُ شرقا ومغربا

فهى تنسب لكعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة .

وهذان البيتان :

رحم الله نافع بن بُدَيل　　رحمةَ المبتغى ثواب الجهاد

صابر صادق وفىّ إذا ما　　أكثر القوم قال قول السداد

اللذان ينسبان مع ثالث إلى حسان في ديوانه .

وهذا البيت :

بكت عَيني وحق لها بكاها ... وما يُغني البكاء ولا العويل

وهو مطلع قصيدة من ستة عشر بيتاً تنسب لابن رواحة وكعب بن مالك وينسب بعضها لحسان . والثلاثة الأبيات التي أولها :

شهدت ولم أكذب بأن محمداً ... رسولُ الذى فوق السماوات من علُ

فإن الأول والثالث يرويان لحسان بن ثابت أيضاً والأبيات الثلاثة ضمن مقطوعة فى ديوان حسان .

والمقطوعة التى مطلعها :

أتانى الذى لايقدر الناس قدره ... لزينب فيهم من عقوقٍ ومأثم

فقد رجح ابن هشام نسبتها لأبى خيثمة ، مالك بن قيس الأوسى .

والمقطوعة التى مطلعها :

وعَدْنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صِدْقا وما كان وافياً

فقد رجح ابن هشام أيضا أنها لكعب بن مالك . والحقيقة أن البتُّ فى أمثال هذه المواقف ليس سهلا ميسوراً . مالم ندرس بعمق شعر ابن مالك وحسان ، على أقل تقدير ، وهذا لم يتسن لنا بعد .

أما هذه الأرجوزة التى وصلتنا أخيراً فى هذا العدد وأمكن جعلها فى هذه الصورة :

(١) يانفس إلا تقتلى تموتى

(٢) هذا حمام الموت قد صليت

(٣) وما تمنيت فقد أعطيت
(٤) إن تفعلى فعلهما هديت
(٥) إن تسلمى اليوم فلا تفوتى
(٦) أو تبتلى فطالما عوفيت
(٧) وان تأخرت فقد شقيت
(٨) هل أنت إلا إصبع دميت
(٩) وفى سبيل الله مالقيت

فعند دراسة مصادرها لوحظ أن أكثر المصادر قدماً اكتفت بالأبيات الأربعة الأولى. وفيما يتصل بالبيتين الأخيرين، فالمعروف أن ابن رواحة إنما نظم هذه المقطوعة من الرجز قبل أن يستشهد فى مؤتة، ولم نسمع أن إصبعه دميت قبل نظمه لها. ثم إن البيتين الأخيرين لم ينسبا فى المصادر القديمة لابن رواحة، ولكن نغيره، فعلى سبيل المثال نسبا فى سيرة ابن هشام للوليد بن الوليد ابن المغيرة فى مناسبة نظنها أكثر ملاءمة. ونحن نرجح أن هذين البيتين ليسا لابن رواحة، وأنهما الحقا بالأرجوزة الأصلية للاتفاق فى القافية، ويبقى بعد ذلك الأبيات ٥، ٦، ٧ وقد جاء الأولان مع ١، ٢، ٣ فى حماسة البحترى والأخير مع ١ – ٤، ٨، ٩ فى ابن عساكر فكأن الخامس عند البحترى حل محل الرابع عند غيره، ومن الناحية الفنية لايتأتى وجودهما معاً فى هذه الصورة.

ومن ثم نحن نستغنى بالرابع لوجوده فى المصادر الأكثر قدما عن الخامس. ولا نرى بأسا فى الإبقاء على السادس والسابع، فليس لدينا مبرر لرفضهما

تاريخياً أو فنياً ، وإن كنا نلاحظ بصفة عامة أن عدد أبيات الرجز فى تلك الفترة محدود . ثم إن موقف ابن رواحة فى مؤتة آنذاك ليس مهيئاً له للإفاضة فى النظم . ويمكن أن تكون الأرجوزة أخيراً فى هذه الصورة :

(١) يا نفس إلا تقتلى تموتى
(٢) هذا حمام الموت قد صليت
(٣) وما تمنيت فقد أعطيت
(٤) أن تفعلى فعلهما هديت
(٥) أو تبتلى فطالما عوفيت
(٦) وان تأخرت فقد شقيت

وهذا البيت :

يا رسول المليك إنّ لسانى   راتق ما فتقتُ إذ أنا بورُ

جاء فى التاج « بور » بصدده أنه يظن نسبته لابن رواحة ، والواقع أنه ليس له البتة ، لأنه لايتمشى كلية مع موقف ابن رواحة من الإسلام وإيمانه المعروفين . وهو من قصيدة فى السيرة منسوبة لعبد الله بن الزبعرى الشاعر المكى ، وهذا هو الصحيح .

وهذا البيت :

لو لم تكن فيه آيات مبينة   كانت بداهته تنبيك بالخير

ينسب له ولحسان . وليس أحدهما أولى بنسبة هذا البيت إليه من الآخر :

وهذا البيت :

فسرْنا إليهم كافة فى رحالهـم　　جميعاً علينـا البيض لا تتخشَّعُ

هو من قصيدة فى السيرة لـكعب بن مالك ، وهو الصحيح .

أما بيتا الرجز هذان :

(١) يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبْل

(٢) تطاول الليـل عليـك فانزل

فقد رجح البغدادى بمـا لايدع مجالا للشك فى صحة نسبتهما لابن رواحة

أما مقطوعة الرجز التى مطلعها :

خلوا بنى الـكفار عن سبيله

والتى قال فيها ابن هشام نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم (يريد ليس فى يوم عمرة القضاء ، وإنما فى يوم صفين) والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين . والمشركون لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، فقد رد على ذلك العلامة الأستاذ محمود شاكر بقوله ، ليس المراد بالتأويل فى البيت تفسير الـكلام الذى تختلف معانيه ، بل التأويل هنا ، هو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ، ومصير المؤمنين ، إلى ما وعدهم به ، كما فى قوله تعالى : هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله وعليه فالأرجوزة صحيحة النسبة لا بن رواحة . أما الأرجوزة التى مطلعها :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا

والتى تنسب لابن رواحة وعامر بن الأكوع معاصره، فالواقع أنها يمكن أن تصدر من كل منهما ، فلـكل باع فى الرجز .

دراسة شعر عبد الله بن رواحة الجاهلي

شعر النقائض ودور ابن رواحة فيه :

عرف عبد الله بن رواحة بأدواره الجيدة فى الإسلام ، حتى ليكاد يظن أنه ليس له علاقة بالجاهلية. والواقع أنه من شعراء الخزرج المخضرمين المعدودين وبتأمل شعره الجاهلى القليل الكمية ، تبين أن كله من النقائض ، ذلك النوع من الشعر الذى كان مزدهراً فى بيئة يثرب قبل الإسلام، بحكم الصراع العنيف الدامى بين الأوس والخزرج . وقد نظم ابن رواحة ذلك الشعر فى جملته رداً على قيس بن الخطيم الشاعر الأوسى الجاهلى .

وهناك عدة ملاحظات نود أن نقدمها بين يدى دراستنا لشعر ابن رواحة الجاهلى ، فى النقائض . ويمكن أن تكون نافعة بشأن دراسة شعر النقائض بـشكل .

(١) شعر النقائض معناه عادة أن ينظم شاعر قصيدة متغنياً فيها بانتصار قومه ، مشيداً بأمجادهم ، مفتخراً بهم ، مذيعاً مثالب أعدائه ، معلنها على الملأ هاجياً لهم . فيعمد شاعر القوم الآخرين إلى تفنيد دعاواه .

(٢) إن الشاعر الذى يبدأ النظم له مطلق الحرية فى اختيار البحر والقافية اللذين يريد ، وانتقاءه للمعانى وعرضها فى الصورة التى يهوى ، والموضع الذى يشتهى ، وليس للشاعر الآخر شىء من هذه الحرية . وفوق ذلك ، هو مفروض عليه أن يتتبع معانى الشاعر الأول بالنقض والتفنيد وأحياناً يستعير معجمه اللغوى .

(٣) إنّ الشاعر الذى يبدأ بالنظم ، ينطلق عادة من نقطة قوة ، إضافة إلى الحرية السابقة التى يتمتع بها . فقيس بن الخطيم مثلا فى القصيدة الدالية ، وجد من انتصار قومه الأوس على الخزرج فى يوم الفضاء ، حافزاً له على أن ينطق ، وفى أعمالهم الجيدة مادة صالحة لأن تعلن على الملأ ، بالإضافة إلى فرحه الطبيعى بانتصار قومه على الأعداء . كل هذه الحقائق طبعت قصيدته بطابعها . تماماً كما طبعت الهزيمة قصيدة ابن رواحة .

(٤) إنّ تفوق شاعر أحد الجانبين على الآخر فى نقيضه أو أكثر لا يعنى بالضرورة تقدمه المطلق وتفوقه على خصمه مالم تكن هناك أسباب أخرى تقضى بذلك .

فى ضوء هذه الملاحظات ألقينا نظرة متأنية على شعر ابن رواحة فى النقائض فتبين أنه دائماً يقتبع قصيدة خصمه بالنقض . بما فى ذلك يوم معبّس ومضرّس الذى انتصر فيه الخزرج على الأوس انتصاراً ساحقاً . فإن ابن الخطيم نظم قصيدة رائية بعد ذلك اليوم ، وقد نقضها ابن رواحة . ووصلتنا قصيدة ابن الخطيم كاملة ولم يصلنا من نقيضه ابن رواحة سوى بيت واحد ، لا يقدم ولا يؤخر ، وهو :

كذبت لقد أقمت بها ذليلا   تقيم على الهوان بها وتسرى

ومعنى هذا أن ابن رواحة يقوم دائماً بدور المدافع ، وينطلق من نقطة الضعف باستمرار . ومطلع قصيدة ابن الخطيم :

ألم خيال ليلى[1] أم عمرو   ولم يلم بنا إلا لأمر

(١) ليلى التى شبب بها ابن الخطيم أخت عبد الله بن رواحة .

وقصيدة ابن الخطيم هذه من أكثر القصائد التى نظمها الحيان فى الجاهلية دلالة على العداء المتأصل بين الحيين ، وتمشياً مع قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار « ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم »(١) وذلك بعد أن أعطى فى قريش وقبائل العرب من أموال هوازن ولم يعط الأنصار شيئاً ، اطمئناناً منه صلى الله عليه وسلم لإيمانهم ، فوجدوا فى أنفسهم ، لأنه بَعُد عليهم مغزى النبى صلى الله عليه وسلم .

والواقع أن قصيدة ابن الخطيم هذه تتأثر بمرارة الهزيمة وتعكس وضع الأوس القلق فى يثرب بعد هذه الحرب ، لدرجة أنهم عزموا على مغادرة يثرب إلى غير رجعة(٢) .

وبما أن هذا اليوم ، انتصر فيه الخزرج ، وطبيعى أن يتأثر كل من مشاعر الخزرج والأوس بهذه النتيجة ، وبما أن شعر ابن رواحة فى هذا اليوم لم يصلنا وأن الذى وصلنا ، فى غير هذا اليوم من شعر ابن الخطيم ، الذى نقضه ابن رواحة ، مبعثه البهجة بانتصار الأوس ، وأن هذا اليوم مبعث حسرة وألم لابن الخطيم ، تماماً كما كانت الأيام الأخرى مبعث حسرة وألم لابن رواحة ، فهما من الوجهة النفسية سواء ، لهذا نحن نؤثر هذه القصيدة بشىء من العناية ، كى نتبين تأثر مستوى القصيدة فنياً بانخفاض الروح المعنوية للشاعر وارتفاعها .

قصيدة قيس بن الخطيم فى يوم معبّس ومضرس .

ابتدأ ابن الخطيم القصائد بالنسيب فى ثلاثة أبيات هي :

ألمّ خيال ليلى أم عمرو　　　ولم يلم بنا إلا الأمر

---

(١) السيرة ٢/٤٩٩ .

(٢) أثير يوم معبس ومضرس ١/٦٧٧ .

تقول ظعينتي لما استقلت أتترك ماجمعت صريم سحر
فقلت لها ذريني إن مالي يروح إذا غلبتهم ويسرى

هذه المقدمة تتأثر بنتيجة الحرب التي فى غيرصالح قوم الشاعر ، فألم به خيال محبوبته ليلى أم عمرو ، الذى عوده أن يزوره حينما يكون هنالك أمر جلل ، وبما أن العادة جرت أن يتذكر الإنسان آخر عهد له بمن يهوى ، إذا لم يكن سبب معين يقضى بغير ذلك ، لهذا تخيل الشاعر هذه المحبوبة ، وقد استقلت هودجها لائمة له على تضحيته بكل ماجمع ، ويأسه من جدواه ، وانشغاله بسواه فيجيبها بأنه إن قدر له أن يهزم الخزرج ، ويثأر لهزيمة يوم معبّس ومضرّس ، فإن سوامه وقتها ، ستجد العناية التامة ، والحرية المطلقة . وهكذا نلاحظ العلاقة الوثيقة بين حالة الشاعر النفسية والنسيب الذى صبغته تلك النفس بصبغتها ولم تطل الحديث فيه لانشغالها بما هو أهم .

وقد ابتدأ حديثه فى الموضوع الأساسى فى القصيدة مشيراً إلى تصميمه وتصميم قومه على الأخذ بالثأر .

فلستُ لحاصن إن لم ترونا نجالدكم كأنا شربُ خمر

إنه هو الناطق باسم الأوس ، وهو يقدم بين يدى ماعزموا عليه من الأخذ بثأرهم من الخزرج بأنه ليس ابن امرأة عفيفة حصان إذا لم يترجم الأوس هذه النية عملا ، ولم تروهم يجالدونكم وكأنهم لاندماجهم فى المعركة واندفاعهم فى كل جهة ، واستهانتهم بالموت ، وضربهم فى كل شق وناحية من لقوا من الخزرج ، أولئك الذين انتشوا من الخمرة فأكسبتهم جرأة وشجاعة إلى جرأتهم وشجاعتهم . والواقع أن العلاقة بين الخمرة التى يشربها اليثربيون والشجاعة

متعارف عليها آنذاك ، فهذا حسان بن ثابت يقول مثلا[١] :

ونشربها فتتركنا ملوكا   وأسدا ماينهنهنا اللقاء

وبيت ابن الخطيم بالإضافة إلى ذلك يشير إلى مدى حرص العربى على الإشادة بطهارة النسوة اللاتى أنجبنه . وعموماً هذا البيت يدل على فضل قوة عند الأوسيين مصدرها الكبرياء المجروح ، إذ أتى بعد البيت مباشرة

وتحمل حربهم عنا قريش   كأن بنانهم تفريك[٢] بسر

وتدرك فى الخزارج كل وتر   بذم الكاهنين وذم عمرو

فهم بعد هزيمتهم النكراء فى هذا اليوم ، طلبوا المساعدة من القرشيين بمكة ، وإن انكسار نفسية ابن الخطيم وضعف روحه المعنوية بجعلانه لايمانع فى إلقاء العبء الأكبر على قريش فى أخذ الثأر للأوس من الخزرج . وهذا يدل على المنزلة العسكرية التى يتمتع بها القرشيون إضافة إلى المنزلة الروحية . ويلاحظ أن الشاعر يشبه أيدى القرشيين التى سالت عليها دماء الخزرجيين بالبسر الأحمر المستوى ، وهو من منتوجات يثرب الزراعية . وهذا البيت من أكثر الوثائق صحة فى الدلالة على ضعف الأوس عسكريا بعد هذا اليوم . وفى هذه القصيدة أبيات أخرى تؤكد هذا كما سنرى .

حقاً ، قد انهزم الخزرج أكثر من مرة أمام الأوس ، ولكن لم نسمع عن نية الخزرج يوماً من الأيام فى مغادرة يثرب بعكس الأوس . وهذا يدل بالإضافة إلى العديد من النصوص الموثوقة على أن الخزرج تتقدم الأوس فى العدد والعدة .

(١) الديوان ص ٨ .

(٢) أصل الفرك : دلك الشىء حتى يتقلع قشره عن لبه كالجوز . التاج .

والشطر الأخير يدل على أن قريظة والنضير ، حلفاء الأوس عادة ، تخلوا عنهم وودعوا الخزرج بعد يوم معبس ومضرس ، بل أنهم بعثوا للخزرج دليلا على عدم وقوفهم مع الأوس ضدهم أربعين غلاماً من أبنائهم رهناً[1] كما تخلى عنهم بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وودعوا الخزرج ، ولم يسيروا مع بني عبد الأشهل وبني ظفر من الأوس إلى مكة ليطلبوا حلف قريش على الخزرج . وهذا يدل على أن بطون الأوس وحلفاءهم ليسوا دائماً جبهة واحدة أمام الشدائد ، وهو مالا ينتظر من بطون القبيلة الواحدة ومن الأحلاف .

وهنا نتساءل : هل أبلغ الأوس فى هذا اليوم عذرهم ؟ والجواب بالإيجاب حيث يقول ابن الخطيم :

زَجَرْنا النخل والآطام حتى   إذا هى لم تُشَيِّعنا لزجر

هما بالإقامة ثم سرنا   كسَيْر حذيفة الخير ابن بدر

ففى أول البيتين يشير إلى أنه هو وقومه قد بذلوا منتهى طاقاتهم ، وطلبوا المساعدة من كل مظانها ، واستحثوا كل أصحاب النخل والأطام ، وحينما لم يتلقوا ما أملوا هموا بأن ينتظروا فى يثرب حتى تلتئم جراحهم كى يعاودوا الخزرج الحرب مرة أخرى ثم بدا لهم فانطلقوا فى سرعة خاطفة وتكتم إلى مكة معلنين العمرة مبيتين النية على التحالف مع القرشيين . ويجعل الشاعر سرعة حذيفة بن بدر الفزارى مقياسا لسرعتهم ، وكان أغار على هجائن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، وسار فى ليلة واحدة مسيرة ثمان .

ويفزع الشاعر إلى مجدهم التليد ، ورصيدهم القديم :

ورثنا المجد قد علمت معد   فلم نُغلب ولم نسبق بوتر

---

(١) ديوان ابن الخطيم ص ١٨٠ .

ويشير إلى بأسهم الشديد الذى يعرفه الخزرج والذى يظهرونه لهم مرة أخرى فى أول فرصة تتاح لهم :

متى تلقوا رجال الأوس تلقوا   لبـاس أسـاود وجـلود نمر

فالأوس دائماً مدججون فى السلاح ، يثير منظرهم القشعريرة فى النفس والرهبة فى الفؤاد ، ومن يدخل معهم فى حرب يعلم يقيناً أن الموت مرتبط بهم، تماماً كما يرتبط بأعظم الحيات خبثاً وأشد الحيوانات افتراساً وأكثرها بطشاً ويشير إلى حروبهم التى تبدأ فى الصباح الباكر وتستمر النهار بطوله ، ويفخر بأنهم صدق عند اللقاء .

ونصدق فى الصباح إذا التقينا   ولو كان الصباح جحيم جمر

وجملة التقينا تفيد أنهم أميل لأن يلتقوا بالأعداء وجهاً لوجه . ويأتى بعد ذلك البيت الذى يعتبر من أبلغ الوثائق فى الدلالة على الذل الذى كان فيه الأوس بعد يوم معبًس ومضرًس .

ألا أبلغ بنى ظفر رسولا   فلم نذلل بيثرب غير شهر

وهو ذل يدل على العداء الذى كان متأصلا فى نفوس أفراد كل من الحيين والبيت التالى يبين السبب الذى انهزم من أجله الأوس ، ولماذا لزمهم الذل ذلك الشهر ، ذلك أن حلفاءهم وأصدقاءهم من العرب واليهود قد خذلوهم دون عذر ، وهم ملومون بسبب ذلك اللوم كله :

خذلنـاه وأسلمنا الموالى   وفارقنا الصريح لغير فقر

ومع ذلك فهم أخذوا شيئاً من حقهم فى المعركة قبل الهزيمة . تماماً كما

أخذوا حقهم من بنى سعد بن بكر . وهـذا دليل على أن حروبهـم ليست مقصورة على الخزرج .

أبحنا المسبغين كما أباحت　　يمانونا بنى سعد بن بكر

والأبيات التالية تشير إلى ما يمكن أن يصادفه الأوس فيما لو قدر لهم أن يغادروا يثرب . وهى كما أسلفنا ، من أدق الوثائق فى الدلالة على الضعف العسكرى والمعنوى اللذين كان فيهما الأوس .

فإن نلحق بأبرهة اليمانى　　ونعمان يُوَجهنا [١] وعمرو

وان ننزل بذى النجدات كرز　　نلاق لديه شرباً غير نزر

له سَجْلان ، سجل من صريح　　وسجل تركة بعقيق خمـــر

ونمنع ما أرادوا ، لا يعانى　　مقيم فى المحـلة وسط قسر

وإن تغدر بنـا غطفان نردف　　نـساءهم ونقتل كل صقر

وواضح أنه يشير إلى احتمال نزولهم مبجلين على أصدقائهـم أينما كانوا فهناك أبرهة بن الصباح اليمانى من ملوك حمير ، والنعمان بن المنذر ، وهما من ملوك الحيرة ، أو عمرو بن الحارث الأعرج ، من ملوك غسان فى الشام وهناك كرز الأعنة ابن عامر بن عبد الله ، من بجيلة ، من قحطان ، الـكريم ، الذى سيُروينا بلبنه الصريح ، وخمره المعتق المصفق بماء الغدير . إننا سنـكون معهم يداً واحدة على عدوهم ، متمتعين بما يتمتعون به من حرية وعزة . وهناك أخيراً غطفان ، حلفاؤنا ، الذين ننتظر منهم ما ينتظر من الحليف ، أما إذا

---

(١) يوجهنا : يجعل لنا جاها .

أرادوا أن يغدروا بنا ، فإنا قادرون على حربهم وقتل ابطالهم وسبي نسائهم . ومع أن ابن الخطيم ، ذكر أكثر من قوم سيرحل إليهم الأوس ، إلا أنه خص بعض اليمنيين بالذكر ، بل إنه ابتدأ بأبرهة اليمانى ، وقد يكون فى ذلك دليل على أكبار الأوس لأصلهم اليمنى ، واهتمامهم بالأنساب ، ولا ننسى أنه قال من قبل :

أبحنـا المسبغين كما أباحت يمانونا . . . . . .

يريد كما فعل قومنا اليمنيون .

ويختم القصيدة بهـذا البيت الذى فيه شىء كبير من الثقـة فى النفس والاعتداد بها :

فنحن النازلون على المنايا ونحن الآخذون بكل ثغر

إننا أناس شجعان ، مهما كنا على ثقة من خطورة المكان الذى ننزل ، ولو كانت بمثابة الموت الزؤام ، فلا يمكن أن ننـكص أو نتردد . ونحن المرابطون القادرون على حماية كل الحدود المخوفة المتاخمة للأعداء .

وهكذا يتبين لنا من دراستنا للقصيدة السابقة أن الهزيمة قد أثرت فعلا فى نفسية ابن الخطيم ، شاعر الأوس وفارسها فى الجاهلية، فهو يعترف بالهزيمة والذل تارة ، ويوعد بالأخذ بالثأر أخرى ، ويستعين بالقرشيين فى سبيل ذلك . ويفر إلى الماضى المجيد ، ويشير إلى رغبة قومه فى مغادرة يثرب إلى غير رجعة ، والضرب فى الأرض الواسعة ، حتى ينزلوا على بعض أصدقائهم الذين سيكون جوارهم خيراً من جوار أبناء عمومتهم الخزرج . كل هذه الحقائق نافعة لنـا

حينما ندرس شعر ابن رواحة الذى صادف أن نفسيته فى كل شعره الجاهلى فى النقائض كنفسية ابن الخطيم .

وسوف نتبين مستقبلا أن مستوى شعر ابن الخطيم فنياً يرتفع بارتفاع روحه المعنوية لانتصار قومه .

النقائض ويوم الفضاء :

من الأيام التى التقى فيها الأوس والخزرج وكان النصر فيها للأوس يوم الفضاء (١) وقد قدر لقيس بن الخطيم ، شاعر الأوس ، أن ينظم قصيدة دالية ، يسجل فيها هذا الانتصار ، معيراً الخزرج ، مفتخراً بقومه الأوس ، وقد نظم عبد الله بن رواحة ، نقيضة لهذه القصيدة فى نفس الوزن والقافية ومطلع قصيدة قيس :

صرمت اليوم حبلك من كنودا (٢)   لتبدل حبلها حبلا جديدا

ومطلع قصيدة ابن رواحة :

تذكر بعد ما شطّت نجوداً   وكانت تيّمت قلبى وليداً

وقد خصص ابن الخطيم ، مقدمة قصيدته للنسيب الذى جاء فى خمسة أبيات . ومن حقنا وقد عرفنا أن الشاعر قد نظمها سعيداً بانتصار قومه ، أن نعقد رابطة نفسية بين النسيب وموقفه من هذا الانتصار . وواضح أن موقف الشاعر من

(١) موضع بالمدينة ، وهو لبنى خطمة ، ويفضى إليه سيل بطحان ، وبه يلتقى سيل مهزور ومذينب ، وهو ممدود وقد يقصر .

(٢) الكنود بالفتح : المرأة الكفور للمودة .

هذه المرأة الكفور لمودته موقف الند للند. فهو يبادلها قطيعة بقطيعة وجحوداً بجحود. إن موقف الشاعر من المرأة فى هذا النسيب التقليدى، إنما ينطلق، دون أن يشعر من موقف الانتصار العسكرى الساحق وكأنه اتخذ من هذه المرأة الكفور للمودة رمزاً للنصر الذى طالما تمناه، وسعى وراءه جاهداً، وبذل فى سبيله كل ما يملك. وهو لا يزداد مع الأيام فى التسويف إلا تمادياً. وحينما قدر للنصر أن يتحقق فى يوم الفضاء، كان الشاعر مستعداً لأن يذوب فيه ويفنى، استعداد الذي بلغ منه اليأس من محبوبته منتهاه، لأن يذوب فى أخرى قدمت له كل ما يتمنى. لقد وجد فى نفسه الجرأة لأن يكمل ما بدأت المرأة الجحود من قطع حبال المودة بينهما. وكأنى بالشاعر فى الشطر الثانى، إنما يتخذ من الحبل الجديد، الذى يعنى به المرأة الأخرى المحبة له، رمزاً لعهده الجديد بالانتصار الذى تحقق بعد طول انتظار ويأس.

وقد يؤيد هذه الرابطة النفسية بين النسيب ونتيجة المعركة أن موقف ابن رواحة فى النسيب من المرأة التى يهوى مغاير لموقف ابن الخطيم. فقد كانت نفسيته منكسرة، وبالتالى هو فى نسيبه ضعيف الموقف منكسر الخاطر، لا يخطر بباله أن يفسر بعد محبوبته عنه قطيعة متعمدة منها، فضلا عن أن يبادلها ذلك. إنما يتخذ منها موقف العاشق المذنف الذى هذه صفته دائماً كما سنرى.

ويستمر ابن الخطيم فى نعت محبوبته:

من اللائى إذا يمشين هوناً   تجلببْنَ المجاسد والبرودا

كأن بطونهن سيوفُ هند   إذا ما هن زايلن الغمودا

فهذه المحبوبة من طراز ممتاز من النساء، مترفات منعمات، حينما يُضْطَرَرْنَ،

يمشين للنعمة التى هن فيها بتؤدة وبطء ، لابسات أحسن أنواع الثياب لوناً ونوعاً ، إن بطونهن ، لرشاقتهن ، وصفاء ألوانهن ، كسيوف الهند التى غادرت لتوها الأغماد . ويستمر متغزلا ببعض أعضائها ، ولعله يربط بين جيدها ووجهها وبين أول العهد بها من ناحية ، والوجه خاصة ، وآخر العهد بها من ناحية أخرى ، يقول :

تَبدّت لى لتقتلنى فأَبْدَتْ معاصم فَخْمَة منها وجيداً
ووجها خِلْتُه لما بدالى غداة البينِ ديناراً نقيداً

لقد كان منها بأول الأمر تَعَرّض له ، فأبدت له عن معصميها العَبْلين الممتلئين ، وجيدها الأغيد ، ووجهها الجميل الذى يبدو لصفائه كالدينار الجيد النقى . وكان لفرحه وقت إقبالها عليه مستعداً لأن يتجول ببصره فى كل ما تبدى له منها ، وحينما أدبرت عنه ، غداة البين ، لم يستطع لوجومه وتبلده ، أن يتحول ببصره عن وجهها .

فإذا انتقلنا إلى الموضوع الرئيسى ، نجد ابن الخطيم ابتداء يسجل نتائج المعركة ، يقول :

سقينا بالفضاء كؤوس حَتْفٍ بنى عوف وأخوتهم تزيدا

ويلاحظ أنه يلجأ إلى حاسة الذوق حينما يتحدث عن عض المعركة للأعداء لأن هذه الحاسة لايكاد يختلف الذائقون فى نتائجها . وكذلك الحرب لا يكاد يختلف المتحاربون فى حقيقة طعمها المر ، المنتصرون والمنهزمون على السواء ، ولكن مرارة طعمها بالنسبة لابن الخطيم هنا قد ضاعت فى غمرة الفرح

بالانتصار ، أو لعله تعمد إلصاقه بالأعداء إضافة إلى مرارة الهزيمة . ويبدو فى هذا الشطر « سقينا بالفضاء كئوس حتف » غمرة الفرح التى داهمت الشاعر ، وسكر النصر الذى خامره ، ومرارة الألم الذى عض الأعداء ، واستفحال القتل الذى تمكن منهم ، وغصص الموت التى تجرعوها ، فهو يأتى بالكئوس فى صيغة الجمع مضافة إلى « حتف » . والمعروف أن الكأس فى اللغة لا يطلق عليها ذلك إلا إذا كانت ممتلئة ، وحينما يأتى بها فى صيغة الجمع فذلك دليل على أن كئوس الحتف كانت بعدد القتلى . كما يأتى بالفعل سقى الذى يرتبط به عادة كمية لا بأس بها من السائل . ومعروف أن عملية الذوق ، التى يقوم بها القليل من السائل ، وافية بالغرض من هذا الاتجاه ، على حد قول زهير :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وقول أبى قيس ، صيفى بن الأسلت ، الأوسى الجاهلى :

من يذق الحرب يجد طعمها مرّاً وتحبسه بجعجاع

ولكن ابن الخطيم يستعمل الفعل « سقى » الأكثر متنفساً لأحقاده ، مسمياً مكان المعركة ، معيناً فرعين من الخزرج كان حظهم فى الحتف أكثر من حظ سواهم .

وانتقل ابن الخطيم بعد الإجمال إلى التفصيل :

لقيناهم بكل أخى حروبٍ يقود وراءه جمعاً عتيداً
ومشرفة التلائل مضمرات طوى أحشاءها التعداء قوداً

فهو يشير فى أول البيتين إلى الأعداد العالية من الأبطال ، الذين ينزلون من الحروب منزلة الإخوة لطول ممارستهم لها ، والذين يقودون وراءهم كتائب

الأوس المستعدة تمام الاستعداد . وكأنى بالشاعر يسجل هنا توزيع الأوس لكتائبهم على هيئة الخميس ، وقد يدل ذلك على بقاء كل فرع من الأوس متميزاً عما سواه مستقلا بناحية من النواحى ، مسئولا عن التقدم أو التقهقر فيها ، وسواءاً كان هذا المراد أم ذاك فالفخر مقصود من الشاعر .

وفى البيت الثانى ينعت الأفراس بأنها مرتفعة الأعناق طويلتها وهذا دليل على ضخامتها وأصالتها ، وبأنها مضمرات قد أعدت لمثل ذلك اليوم ، قد طوى أحشاءها العدو ، فليس غريباً عليها مثل ذلك الصراع والمجهود الذى كان عليها أن تبذله آنذاك .

ويتحول مخاطباً الخزرج فى صيغة الاستفهام الانكارى قائلا :

هل بلغ بكم الحمق للدرجة التى أخذتم تعتقدون فيها بأن حرب الأوس كسهولة حصولكم على البُسْر الفاسد المُغْبَرّ وأكله هو وحب الحنظل الذى تطبخون . لقد ضل رأيكم وتبين لكم أنكم حمقى بسبب هذا الظن . يقول :

أكنتم تحسبون قتالَ قومى كأكْلِكم الفغايا(١) والهَبِيدا

وواضح أن بيتاً كهذا فيه شيء كبير من الاعتداد بالنفس والحط من شأن الأعداء بوصمهم بسوء التقدير وضعف الهمة . ولا يخفى مافى ذلك من المغالطة أيضاً ، فإن هذا النوع الردىء من التمر وحب الحنظل الذى يطبخ إنما يلجأ إليهما ويتخذهما طعاما الخزرج وغير الخزرج إذا كانت هناك مجاعة ، خاصة وأن بيئة يثرب خصبة وما أسهل أن يجد الضعيف فيها من التمر مايسد رمقه ومعروف أن الخزرج تتقدم الأوس فى العدد والطاقة . ولا يخفى أن الشاعر

---

(١) الفغى : داء يقع على البسر مثل الغبار .

يتخذ من انهزام الخزرج فى هذا اليوم متنفساً لأحقاده التى ورثها من الآباء والأجداد .

وإذا كان الشاعر فى تسجيله للنتيجة مجملة أولا قد خص بنى عوف وإخوتهم تزيد ، بسقيهم كئوس الموت ، لأن نصيبهم أكثر من نصيب سواهم ، فإنه عاد الآن إلى تبيين نصيب رفاقهم من الخزرج فى ذلك اليوم يقول :

أصاب القتلُ ساعدةَ بن كعبٍ وغادر فى مجالسها قرودا[1]
وقد رُدَّ العزائم فى طريفٍ وأقيان[2] يصوغون الحديدا
وإن سيوفنا ذهبَتْ عليكم بنى شرٍّ الخَنَى مهلا[3] بعيدا
ويأبى جمعُكم إلا فرارا ويأبى جمعنا إلا ورودا
وإن وعيدنا كم حين نمشى بهنَّ على المنون ولا وعيدا

فبنو ساعدة بن كعب ، نالوا نصيبهم من سيوف الأوس ، وقد انعكس أثر الهزيمة فى مجالسهم فباتوا وكأنهم القرود ذلة وانكساراً . أما بنو طريف ابن الخزرج بن ساعدة فقد كانوا هم وباقى الخزرج الذين يتقنون صوغ الحديد ولا يجيدون استعماله غرضاً لعزمات الأوس المركزة . ان هذه الفئة من الخزرج تتقن هذه الحرفة الحقيرة فى نظر ابن الخطيم ، وربما يشاركه هذه النظرة سواه ؛

(١) التاج : أقرد الرجل : لصق بالأرض والقاموس وأقرد : سكت وسكن وذل وتماوت .

(٢) جمع قين ، وهو الحداد ، وفى الأصل «وأقيال» والقيل : الملك من ملوك حمير . ولا يتمشى هذا المعنى مع مايريده الشاعر .

(٣) المهل ، بالتحريك : التقدم .

أما هو وقومه فإنهم يجيدون استعمال الآلات التى تصاغ من هذا الحديد ، السيوف بخاصة ، التى نالت من الخزرج ، أعرق الناس لخشا ، أقصى مايمكن أن ينال . وكانت النتيجة أن أصر الخزرج على الفرار ، وهو إصرار قد أرغموا عليه لإصرار الأوس على التقدم . وهذا نتيجة حتمية للانتصار . وقد ثبت للخزرج أن وعيد الأوس حينما يمشون فى عزيمة وإصرار وفى أيديهم السيوف التى تنثر الموت نثراً ليس له نظير .

وفى هذا البيت :

ألا من مُبْلِغٌ عنى كُعَيْباً فهل ينهاكَ لُبُّكَ أن تعودا

استخفاف من ابن الخطيم بكعب ، ولعله كعب بن مالك الشاعر الخزرجى الذى يأتى به فى صيغة تصغير التحقير . مستفهماً فى لهجة غير المتأكد عما إذا أصبح عند كعب من العقل مايمنعه أن يتورط مستقبلا فى حرب مضمونة الهزيمة كهذه . ويبدو أن ابن الخطيم يرجح عدم استفادته من هذا الدرس القاسى ، تماماً كما لم يستفد قومه من قبل يقول .

أرانى كلما صَدَّرْتُ أمرا بنى الرقعاء[1] جشَّمكم صَعودا

فالخزرج فى نظر ابن الخطيم فى عماية دائمة وضلالة مستمرة . لايخرجون من ورطة حاكها ابن الخطيم لهم إلا ليقعوا فى أخرى ، لأنهم ورثوا الحمق من أمهم الحمقاء ، ولا يخفى أن الشاعر يغالط هنا . فأم الخزرج والأوس واحدة لهذا يقال لهما ابنا قَيْلة .

ويغلب على البيتين الأخيرين طابع الفخر :

---

(١) الرقعاء : الحمقاء . والصعود العقبة الشاقة .

فما أبقت سيوف الأوس منكم   وحَدُّ ظُباتها إلا شريد

فلن تنفكَّ نقتل ماحيينا   رجالكم ونجعلكم عبيدا

وهنا مبالغة كعادة شاعرنا ، إذ يزعم أنه لم يبق من الخزرج بفعل سيوف الأوس الماضية سوى الهاربين ، ويعلن عن نيته ونية قومه فى استئصال البقية الباقية منهم مستقبلا . أو أن يضربوا عليهم ذل العبيد الدائم الذى ليس وراءه ذل .

نقيضة ابن رواحة :

وكما بدأ ابن الخطيم قصيدته بالنسيب ، كذلك بدأ ابن رواحة نقيضته . وقد أشرنا من قبل إلى أن نتيجة المعركة أثرت فى موقف الشاعرين من المرأتين اللتين يهويان ، فابن رواحة ضعيف الموقف من محبوبته ، بعكس ابن الخطيم ، يقول :

تذكر بعد ماشَطَت نجودا   وكانت تَيَّمت قلبي وليدا

كذى داء يُرى فى الناس يمشى   ويكتم داءه زمناً عميدا

تصيَّد غرة الفتيان حتى   تصيدهم ، وتشنأ أن تصيدا

فقد صادت فؤادك يوم أبدت   أسيلا خدُّه صَلْتا وجيدا

تزين معاقِدُ اللبات منها   شنوفاً فى القلائد والفريدا

فإن تَضْنَن عليك بما لديها   ويصبح حبل نائلها جديدا

لعمرك مايوافقنى خليل   إذا ما كان ذا خلف كنودا

إن موقف ابن رواحة من محبوبته قبل البعد وبعده واحد ، إنه الحب لها

مع أنه يتظاهر بغير ذلك ، كالمريض الذى يماشى الناس ويكتم داءه . ولقد كملت محاسن هذه المحبوبة ، فهى تصادف دائماً من الفتيان هوى ، ويقعون فى أشراك حبها دون قصد منها لذلك أو رغبة . وهذا ما فعلته مع ابن رواحة حين صادت قلبه يوم بدا منها وجهها الجميل وخدها الأسيل وجبينها الواضح وجيدها الأغيد. وقد أضفت لبّاتها لتوهجها جمالا إلى القلائد التى تتقلدها والحلىّ التى تضعها فى أعلى أذنيها ، والدر الذى نظم وفُصل بغيره فى جيدها .

ونحن نستطيع أن نعقد رابطة نفسية بين النصر الذى تمادى فى ابتعاده وبين المحبوبة التى هذا فعلها . إن موقف الشاعر منهما واحد هو عدم الموافقة ولكنه لا يستطيع بصدد المحبوبة أن يتخذ موقفاً آخر أكثر ايجابية. والحقيقة أن الهزيمة طبعت قصيدة ابن رواحة بطابعها ، وليس ذلك وقفاً على النسيب . لنتأمل هذه الأبيات التى يفر فيها ابن رواحة إلى تسجيل رصيد الخزرج من المجد سابقاً .

وقد علم القبائل غير فخرٍ إذا لم تلف ماثلة ركودا
بأنا تخرج الشتواتُ منا إذا ما استحكمت حسبا وجودا
قدورا تفرقُ الأوصال فيها خضيبا لونها بيضاً وسودا
متى ما تأت يثرب أو تردها تجدنا نحن أكرمها جدودا
وأغلظها على الأعداء ركنا وألينها لباغى الخير عودا
وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر وأقصدها وأوفاها عهودا

إذا نُدعى لثأر أو لجار فنحن الأكثرون بها عديدا
متى ما تدع فى جشم بن عوف تجدنى لا أعم ولا حيودا
وحولى جمع ساعدة بن عمرو وتيم اللات قد لبسوا الحديدا

إننا لو تأملنا أبيات ابن الخطيم التى يفخر فيها فخراً مباشراً ويهجوا هجواً مباشراً ، وقارناها بهذه الأبيات لاتضح لنا فرار ابن رواحة من حاضره إلى ماضيه ، فهو يفتخر بالكرم ، وأن القبائل تعرف هذه الظاهرة فيهم ، خاصة فى أوقات المجاعة ، إذ تنتشر الجفان الضخام الثقيلة المملوءة لحما وشحما والتى يبرق داخلها لفرط العناية به ، ويسود خارجها لكثرة تعرضه للنار .

كما يفخر بأنهم أعز من سكن يثرب ، وأغلظ الناس ركنا على الأعداء وألينهم عوداً لطلاب الخير ، وأفصحهم كلاما وقت المنافرة ، وأكثرهم عدلا وأوفاهم عهوداً ، وأسرعهم لأخذ الثأر أو حماية جار .

فما علاقة كل هذا بفخر ابن الخطيم وهجومه المباشر على الخزرج ؟ إن كل الذى سبق رصيد جماعى للخزرج . أما البيتان التاليان فرصيد فردى لابن رواحة :

متى ما تدع فى جُشَم بن عوف تجدنى لا أعمَّ ولا حيودا
وحولى جمع ساعدة بن عَمْرٍ وتيم اللات قد لبسوا الحديدا

لقد عرف بن رواحة بين قومه بأنه ليس غليظ الجانب عليهم ولا متحاشيا للمستغيث وطالب المعروف ، وبأن بنى ساعدة وتيم اللات يلتفون حوله فى عددهم الحربية التامة .

ويأتى أول بيت يجيب فيه ابن رواحة قيس بن الخطيم مباشرة :

زعمتم أنما نلتم ملوكاً ونزعم أنما نلنا عبيداً

لقد تغنى الأوس بانتصارهم على الخزرج ، فعمد ابن رواحة فى بيت المقارنة الضعيف إلى المغالطة فجعل من انتصار الأوس على الخزرج وتغنى الأوس بذلك دليلا على المنزلة العالية التى يتمتع بها الخزرج والتى تصل بهم إلى مصاف الملوك . وجعل انتصار الخزرج المعتاد على الأوس شيئا هينا لهوان الأوس الذين ينزلهم الخزرج منزلة العبيد ، وهل اهتم الخزرج لغير الأوس والأوس لغير الخزرج ؟ ويستمر مغالطا فى البيت التالى :

وما نَبْغِى من الأحلاف وترا   وقد نلنا من المسوَّد والمسُودا

إنه يهون من انتصار الأوس ، فليس هناك حاجة إلى الأخذ بالثأر ، بل إن الخزرج أخذوا — ثأرهم من الأوس وأحلافهم فى المعارك السابقة التى قتلوا فيها منهم المسود والمسود . وكأن الماضى حلا له فاستمر غارقا فيه :

وكان نساؤكم فى كل دارٍ   يخدِّشْنَ المعاصم والخدودا
تركنا جحجبى كبنات قفع   وعوفا فى مجالسها قعود
ورهط أبى أمية قد أبحنا   وأوس الله أتبعنا ثمودا

ولماذا يخدش النساء المعاصم والخدود ؟ للجزع الذى انتهابهن بسبب الهزيمة التى حاقت بقومهن ، والذل الذى لحق بهن وبرجالهن . لقد قتل البعض ، وحل الهوان بمن نجا من القتل فلا يستطيعون ، لخزيهم مغادرة مجالسهم .

أما اليهود الذين أخذوا نصيبهم من عض المعركة ، والذين يغلب عليهم الوقوف جانب الأوس فإنه يخصهم بهذا البيت :

وكنتم تدّعون بهودَ مالا الآن وجدتم فيها يهودا ؟

وإذا كان ابن الخطيم سبق أن قال :

وقد رد العزائم فى طريف وأقيان يصوغون الحديدا

فإن ابن رواحة ، فى نهاية قصيدته يتأثر بابن الخطيم فى صورة ما فيقول :

وقد ردوا الغنائم فى طريف[1] ونحّام ورهط أبى يزيدا

فكأنه يقول : إن الأوس وحلفاءها ، خاصة من اليهود ، على الرغم من تصميمهم سابقا على الانتصار إلا أن النتائج كانت دائماً فى غير صالحهم .

وبعد دراستنا لكل من القصيدتين نستطيع أن نقول : إن ابن الخطيم ، لانتصار قومه كان قادراً على النطق ، بعكس ابن رواحة ، الذى ينطبق عليه تماماً قول عمرو بن معد يكرب : [2]

فلو أن قومى أنطقتنى رماحُهُمْ نطقتُ ولكنَّ الرماح أجرّت[3]

<u>النقائض ويوم البقيع :</u>

والتقت الأوس والخزرج ببقيع الغرقد[4] فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكان

---

(١) هناك رواية أخرى للشطر « وقد ردوا العزائم فى طريف » .

(٢) الحماسة ص ١٦٢ .

(٣) والإجرار : أن يشق لسان الفصيل فيجعل فيه عويد لئلا يرضع أمه .

(٤) يوم البقيع بعد يوم الفضاء وقبل يوم معبس ومضرس . والغرقد : شجر عظام ، أو هى العوسج إذا عظم ، واحده غرقدة وبها سموا .

الظفر يومئذ للأوس فقال عبيد بن ناقد الأوسى : [١]

لما رأيت بنى عوف وجمعهم جاءوا وجمع بنى النجار قد حفلوا [٢]

دعوت قوس وسهلت الطريق لهم إلى المكان الذى أصحابه حللوا

جادت بأنفسها من مالك عصب يوم اللقاء فما خافوا [٣] ولا فشلوا

وعاوروكم [٤] كئوس الموت إذ برزوا شطر النهار وحتى أدبر الأصُل

حتى استقاموا وقد طال المراس بهم فكلهم من دماء القوم قد نهلوا

تكشف البيض عن قتلى أولى رحم لولا المسالم والأرحام ما نقلوا

تقول كل فتاة غاب قيمها [٥] أ كلُّ من خلفنا من قومنا قتلوا ؟

لقد قتلتم كريماً ذا محافظة قد كان حالفه القينات والحلل

جزل نوافله ، حلوا شمائله ريان واغله [٦] تشقى به الإبل

والذى جاءنا من رد ابن رواحة عليه بيتان هما :

---

(١) أثير ١ / ٦٧٣ « يوم البقيع » .

(٢) حفلوا : جاءوا مجتمعين فى هيئة السيل الأتى . يقال : حفل الوادى بالسيل واحتفل : إذا جاء بملء جنبيه .

(٣) هكذا بالأصل ، ولا وجه له ، ولعل الصحيح « فما خاموا » بالميم بمعنى لم يجبنوا ولم ينكصوا .

(٤) التعاور : التداول ، وهو عام فى كل شيء ، يقال : تعاورت الرياح رسم الدار أى تداولته . والأصل ، بضمتين ، جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب

(٥) القيم على الأمر : متولية . وقيم المرأة : زوجها .

(٦) أثير « الواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون » .

لما رأيتُ بني عوف واخوتهم كعبا وجمع بني النجار قد حفلوا
قِدْماً أباحوا حماكم بالسيوف ولم يفعل بكم أحد مثل الذى فعلوا

وواضح أن رواحة يتتبع سواه ، وينطلق من نقطة الضعف المعتادة نفسها وبالمقارنة البسيطة بين البيت الأول لعبيد بن ناقد :

لما رأيتَ بنى عوف وجمعَهُمُ جاءوا وجمع بنى النجار قد حفلوا

وبيت ابن رواحة الأول :

لما رأيت بنى عوف واخوتهم كعبا وجمع بنى النجار قد حفلوا

يتبين لنا إلى أى حد يكون الشاعر الثانى متقبعاً لخطى الشاعر الأول .

وبتأمل بيت ابن رواحة الثانى يتضح لنا فراره إلى الماضى .

النقائض ويوما حاطب وبعاث :

هناك نقيضتان بائيتان نظمها ابن الخطيم بعد يوم بُعاث، يفخر فيهما بانتصار الأوس فى يوم بعاث ويشير إلى يوم حاطب أيضاً . ومطلع الأولى :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف راكب

ومطلع الثانية .

رد الخليطُ الجمال فانقضبا[1] وقَطَعوا من وِصالك السببا

وقد نقضهما ابن رواحة .

وأول ما يلاحظ على القصيدة الأولى ونقيضتها لابن رواحة ومطلعها :

(١) انقضب : انقطع .

أشاقتك ليلى فى الخليط المجانب نعم فرشاش الدمع فى الصدر غالبى

هو أن عدد أبيات قصيدة ابن الخطيم ثمانية وثلاثون بيتاً ، بينما عدد الأبيات التى وصلتنا من قصيدة ابن رواحة خمسة عشر بيتاً ، ويمكن أن يكون هذا البيت الذى جاء منفرداً :

رميناك أيام الفجار فلم تزل حميًّا فمن يشرب فلست بشارب

من هذه المقطوعة ، وفيه يخاطب بن رواحة ابن الخطيم كما جاء فى ابن الأثير ، فيكون بين أيدينا ستة عشر بيتاً ، بمعنى أن العدد يقل عن نصف قصيدة بن الخطيم ، وهذا مما يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من أن كثيراً من شعر ابن رواحة الجاهلى لم يصلنا .

ويلاحظ على أبيات ابن رواحة أنها تبدأ بالمقدمة الغزلية التى جاءت فى أربعة أبيات .

والمتأمل لهذه المقدمة يتبين أن الشاعر فى موقفه من المرأة التى يهوى يتأثر بموقف الضعف والهزيمة التى كانت من نصيب قومه الخزرج فى معركة بعاث وقد كانت آخر الحروب بين الأوس والخزرج فى الجاهلية ومن أهمها إن لم تكن أهمها فعلا . ومع أنه يعين اسم محبوبته ليلى التى يقال إنها أخت قيس ابن الخطيم ، إلا أن الشاعر قد خلع عليها صفة الهجر له والبعد عنه ، مع قومها الذين ارتحلوا ، ولذلك أخذ يبكى ، على حد زعمه ، حتى مضى أول النهار ، وحتى بل صدره ، بسبب الحزن الذى تمكن منه ، والإعياء الذى حل به . وحينما حان وقت الرواح آبت إليه همومه التى كانت متفرقة فى كل صوب على حد قول شاعر [(١)] .

---

(١) ديوان المجنون ص ١٨٥ .

أقضّى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهم بالليل جامع

ومع أن هذه الحبيبة لم تبادله ود بود ، ولا أمل عنده فى أن تبادله ذلك مستقبلا ، إلا أنه يجد نفسه ضعيفاً أمامها دائماً وينطبق عليه الفكرة الشائعة من أن كل ممنوع مرغوب . وسبب هذا الضعف الهزيمة المنكرة التى حاقت بقومه فى بعاث والتى أثرت بالتالى فى نفسيته . يقول فى المقدمة :

أشاقتك ليلى فى الخليط المجانب نعم فرشاش الدمع فى الصدر غالبى
بكى إثر من شطت نواه ولم يقف لحاجة محزون شكا الحب ناصب
لدن غدوة حتى إذا الشمس عارضت وراح له من همه كل عازب
تبين فإن الحب يعلق مدبرا قديماً إذا ماخلة لم تصاقب

وكى يتضح تأثر النسيب بالنصر أو الهزيمة ، علينا أن نتأمل المقدمة الغزلية لقيس بن الخطيم :

أتعرف رسماً كاطراد[1] المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف راكب
ديار التى كادت ونحن على منى تحل بنا[2] لولا نجاء الركائب

(١) أطراد : افتعال : من قولك اطرد ، إذا تتابع . يقال : اطرد القول والماء ، إذا تتابع . والمذاهب : جلود كانت تذهب ، واحدها مذهب ، بالضم ، تجعل فيها خطوط مذهبة بعضها فى أثر بعض فكأنها متتابعة . فيقول : يلوح رسمها كما يلوح هذا المذهب .

(٢) تحل بنا : تجعلنا نحل ونتزل ، عاقبت الباء الهمزة . حل به المكان وأحله المكان ، بنصب المكان فيهما ، أنزله . والنجاء : سرعة السير . يقول : كادت عمرة أن تحملنى على الإقامة أبدا فى منى ، من شدة فتنتى بها وحبى لها ، ولولا نفرة الناس عن منى بعد قضاء حجهم وتفرقهم إلى بلادهم لكنت خليقا أن أقيم . هـ . الطبقات ص ١٩٠ الأستاذ محمود شاكر .

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب[1] منها وضنت بحاجب
ولم أرهـا إلا ثلاثاً على منى   وعهدى بها عذراء[2] ذات ذوائب
ومثلك قد أصبيت ليست بكنة   ولا جارة ولا حليلة صاحب

وواضح أن هذه المقدمة فيها حركة وحيوية وإيجابية وخاصة قوله « ومثلك قد أصبيت » فيبدو هنا اعتداد الشاعر بنفسه وإحساسه بثقل وزنه . ولا نشك أن هذه القوة فى هذه المقدمة مصدرها القوة عسكرياً .

ويتصل بموقف ابن رواحة الضعيف من الوجهة النفسية ، أنه حينما تتراكم عليه الهموم يفر إلى ناقته التى يمتطيها ، ويحثها على قطع المسافات الطويلة وسبق سواها المتعلقات أعينها بالسياط خوفاً من أن تنهال عليها للأعياء الذى تمكن منها ، الغائرات أحداقها بسبب قطع المسافات الطوال . وليس ببعيد عن أذهاننا قول طرفة :

وإنى لأمضى الهمّ عند احتضاره   بعوجاء مِرْقال تروحُ وتغتدى

يقول ابن رواحة :

كَسُوتُ قتودى عرمساً فنصأتها   تخُبّ على مستهلكات لواجب
تُبارى مطايا تتّقى بعيونها   مخافة وقع السّوط خوص الحواجب

وبابتداء البيت السابع يبدأ الموضوع الأساسى فى المقطوعة . وإذا تأملنا

---

(١) حاجب : جانب .
(٢) عذراء : حديثة ، وإنما أراد : عهدى بها ولم تبلغ أن ينالها الرجال .
(٣) الـكنة ، بالفتح : امرأة الإبن ، أو الأخ ، والجمع كنائن .

ما قاله ابن رواحة فإننا نجده فى الحقيقة يفر من الحديث فى الواقع إلى أشياء أخرى بعيدة عنه بعداً بيناً .

فمعدنهم نقى ، وليسوا كغيرهم الذين يشحون بعد الجود لما صاروا إليه من الشدة والجهد ، ومضارب سيوفهم غير مذمومة ولا راجعة عليهم إلا بالثناء والوصف الحسن ، وهم يدفعون عن مجدهم التليد بإعطاء أحسن ما يملكون مما ورثوا للفقراء والمحتاجين . وحلومهم راجحة ، وشوكتهم قوية ، وشجاعتهم نادرة ، واستعدادهم لخوض المعارك دائم . سلاحهم السيوف الماضية والصبر الذى يتحلون به دائماً ، يقول :

إذا عُيِّرت أحسابُ قوم وَجدْتنا ذوى نائل فيها كرام المضارب
نحامى على أحسابنا بتلادنا لمفتقر أو سائل الحق راغب
وأعمى هدَته للسبيل حلومُنا وخصم أقمنا بعد مالجَّ شاغب
ومعترك ضنك ترى الموت وَسْطه مشينا له مشى الجمال المصاعب
بخرس ترى الماذىّ فوق جلودهم وبيضاً نقاء مثل لون الكواكب
فهم حُسَّرٌ تحت الدروع كأنهم أُسود متى تُنض السيوف تضارب
معاقلهم فى كل يوم كريهة مع الصبر منسوب السيوف القواضب

ويأتى بعد ذلك البيتان اللذان يجيب فيهما ابن الخطيم :

نخرتم بجمع زاركم فى دياركم تغافل حتى دوفعوا بالرواجب
أباح حصونا ثم صمّد يبتغى مظنة حَىّ فى قريظة هارب

وكأنى بابن رواحة يفر إلى يوم سابق انتصر فيه الخزرج على الأوس

انتصاراً ساحقاً حتى إن الأوس دفعوا ببطون مفاصل أصول الأصابع الخزرج عنهم بعد أن تعطلت الأسلحة . وفى ذلك اليوم أباح حصون الأوس ثم توجه بعدها حيث الأمكنة التى يظن أن قريظة الهاربة قد اختبأت فيها . وحتى البيت الذى نرجح أنه أساسا من هذه القصيدة ، والذى يخاطب فيه ابن الخطيم .

رميناك أيام الفِجار فلم تزل حَِيا فمن يشرب فلست بشارب

فإن ابن رواحة يفر فيه إلى الماضى ، فقد كان ابن الخطيم ، يوم الفِجار الأول للأنصار ، فى حائط له ، فانصرف فوافق قومه قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه إلا السيف ثم خرج معهم ، فعظم مقامه يومئذ ، وأبلى بلاء حسناً وجرح جراحة شديدة ، فمكث حيناً يتداوى منها ، وأمر أن يحتمى عن الماء[1] فابن رواحة يعيره بما ألحق الخزرج به ذلك اليوم .

وليتضح لنا الفرق بين النفسيتين ، لنتامل شيئاً مما قاله ابن الخطيم فى قصيدته عن حرب حاطب والحديقة وبعاث ، يقول :

دعوت بنى عوف[2] لحقن دمائهم فلما أبوا سامحت فى حرب حاطب

أتت عُصَبٌ م الكاهنين[3] ومالك وثعلبة الأثْرِين رهط ابن غالب

---

(١) أثير ١ / ٦٧٦ .

(٢) يريد : عمرو بن عوف بن الخزرج . وسامحت : تابعت . وحاطب : حليف لهم قتل ، فكان بينهم حرب فى قتله .

(٣) الكاهنان : قريظة والنضير . وثعلبة : هم بنو ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس . والأثر ، بسكون العين وضمها وكسرها : الرجل الذى يستأثر على أصحابه أى يختار لنفسه أفعالا وأخلاقا حسنة .

رجال متى يُدْعَوا إلى الموت يرقلوا[1] إليه كإرقال الجمال المصاعب
إذا فزعوا مدوا إلى الليل صارخاً[2] كموج الأتىّ المزبد المتراكب
ترى قِصَدَ[3] المرّان تهوى كأنها تَذَرُّعُ خِرْصان بأيدى الشواطب
صبحنا بها الآطام حول مزاحم[4] قوانس أولى بيضنا كالكواكب
لو أنك تلقى حنظلا فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامه[5] المتقارب
إذا مافررنا كان أسوا فرارنا صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر ولاتبرح الأقدام عند التضارب
إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب
أجالدهم يوم الحديقة[6] حاسراً كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

(١) إرقال البعير : نوع من السير . والمصعب : الذى لم يمسه حبل ولم يذلل .

(٢) الصارخ : المغيث . والأتى : السيل يأتيك ولم يصبك مطره .

(٣) قصد : كسر . والمران : الرماح . والتذرع : قدر ذراع ينكسر ، وكل قضيب أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سعف فهو خرص (مثلثة) . والشَّطْبَة : السعفة الطويلة . والشاطبة من النساء : التى تشققها وتأخذ قشرها الأعلى تعمل منه الحصر .

(٤) مزاحم : أطم عبد الله بن أُبىّ بن سلول . والقوانس ، جمع قونس : الناتىء فى أعلى البيضة وإنما قال أولى ، لأنهم إنما يرون أول من يطلع عليهم .

(٥) اللسان « سوم » « أى على ذى سامه وعن فيه بمعنى على ، والهاء فى سامه ترجع إلى البيض المموه به ، أى البيض الذى له سام . قال ثعلب : معناه أنهم تراصوا فى الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم على أملاسه واستواء أجزائه لم ينزل إلى الأرض .

(٦) الحديقة : قرية من أعراض المدينة فى طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبيل الإسلام . ياقوت . والمخراق : ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة ، وهو ما يسمى حاليا بالطرة .

ويوم بعاث اسلمتنا سيوفنا   إلى نَسَبٍ فى جِذْم[1] غسانَ ثاقب
يعرِّين بيضا حين نلقى عدونا   ويغمدن حمرا ناحلات المضارب[2]
أطاعت بنو عوف[3] أميراً نهاهم   عن السلم حتى كان أوّل واجب
أويت[4] لعوف إذ تقول نساؤهم   ويرمين دفعا ، ليتنا لم نحارب
صبحناهم شهباء[5] يبرق بيضها   تبين خلاخيل النساء الهوارب
أصابت سَراةَ الأغر[6] سيوفنا   وغودر أولاد الإماء الحواطب
ومنا الذى آلى ثلاثين ليلة   عن الخمر حتى زاركم بالكتائب[7]
فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه   وترك الفضاء شوركتم فى الكواعب

---

(١) الجذم ، بالكسر : الأصل . وثاقب : مضىء غير خامل . يقال : ثقبت النار وأثقبتها أنا ، ورجل ثاقب النسب والعلم ، أصله : مضىء متوهج .

(٢) مضرب السيف ومضربته : نحو شبر من طرفه .

(٣) بنو عوف : من الخزرج . وواجب : ميت . ورئيس بنى عوف الذى يقصده هو عمرو بن النعمان البياضى .

(٤) أويت : رققت ورثيت : ويرمين دفعا : أى يرميننا من فوق الآطام دفعا عن أنفسهن :

(٥) كتيبة شهباء وبيضاء : إذا كانت صافية الحديد : وتبين : أى يهربن فيحسرن عن أسوقهن .

(٦) الأغر : هو مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يريد أنهم قتلوا سراة القوم من الخزرج ، لأنهم أقرانهم ، وعفوا عن سواهم :

(٧) هذا أبو قيس بن الأسلت .

رضيت لهم إذ لا يريعون[1] قعرها ... إلى عازب الأموال إلا بصاحب
فلم تمنعوا منا مكاناً نريده ... لكم محرزاً إلا ظهور المشارب[2]
فهلاّ لدى الحرب العوان[3] صبرتمُ ... لوقعتنا ، والبأس صعب المراكب
ظأرناكم[4] بالبيض حتى لأنتم ... أذل من السقبان بين الحلائب
ولما هبطنا الحرث[5] قال أميرنا ... حرام علينا الخمر ما لم نضارب
فسامحه[6] منا رجال أعزة ... فما برحوا حتى أحلت لشارب
فليت سويداً[7] راء من جرّ منكم ... ومن فر إذ يحدونهم كالجلائب

---

(١) يريعون : يرحون ويغادرون : وعازب الأموال : هى الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى : وهذا البيت فى الأصل قبل الذى يسبقه وقد جعلناه فى هذا الوضع اقتناعا بقول د : ناصر الأسد الذى قال عنه فى وضعه الأصلى « ولم أتبين للبيت بهذا الترتيب ، معنى يستقيم به : والأرجح عندى أن موضع البيت يجب أن يكون بعد بيت آخر ، كالبيت التالى له ، فيه لفظ الآطام أو مايشبهها ، ليرتبط بها الضمير فى « قعرها » .

(٢) المشارب : الغرف .

(٣) العوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد أخرى .

(٤) ظأرناكم : عطفناكم على ما نريد : ويقال فى مثل « الطعن يظأر » أى يعطف القوم على الصلح : السقبان، جمع سقب ، وهو الذكر من أولاد الإبل : والشطر الثانى مثل فى الميدان رقم ١٥٠٤ .

(٥) الحرث : موضع من نواحى المدينة .

(٦) سامحه : تابعة .

(٧) هو ابن الصامت الأوسى ، كان قتله المجذّر بن زياد حليف الخزرج ، فقتله بعد أن أسلم الحارث بن سويد ، فقتل النبى صلى الله عليه وسلم الحارث صبراً : وراء : أراد رأى فقلب : وهناك رواية أخرى : ومن خر منهم : والجلائب : الجماعات من الخيل والإبل والغنم والناس ، والواحد جلوبة ، وهى ما جلب من شىء .

فأبنـا إلى أبنائنـــا ونسائنـا   وما من تركنا فى بعاث بآئب
وغيِّبْت عن يوم كنتقى عشيرتى   ويوم بعاث كان يوم التغالب(١)

ونحن فى غِنى عن أن نقول : إن ابن الخطيم ، فى هذه القصيدة ، يتقدم ابن رواحة ولـكننا نضيف بأن ابن رواحة لا زال ينطلق من نقطة الضعف نفسها ، نقطة الهزيمة .

أما قصيدة ابن الخطيم الثانية فتقع فى خمسة وعشرين بيتاً ، ولم يصلنا من نقض ابن رواحة لها سوى ستة أبيات يهاجم فيها ابن الخطيم مباشرة .
وقد عودنا ابن رواحة أن يبدأ نقيضته بالمقدمة الغزلية ، ثم ينتقـل إلى موضوعه الأساسى ولم يصلنا شعر الغزل ، فمعنى هذا أن مقدمة هـذه القصيدة قد ضاعت . ثم إنه قد عودنا فى الدالية أن تكون قصيدته أطول من قصيدة خصمه ، فمعنى هذا أن أكثر أبيات هذه القصيدة قد ضـاع . وأبيات ابن رواحة هى :

يا قيس أنتم شرار قومكم   قدماً وأنتم أغثهم نسـبا
حالفتم الفحش والخيـانة والـ   بخل جميعاً واللؤم والـكذبا
يا قيس إن الأسلاب أحرزها   من كان يغشى الذوائب القضبا
وأنت فى الدار غير محتضر   حربا وتدعو قتـالنـا لعبا
لو كنت فيهم والحرب لاقحة   لـكنت فيهـم مغلبا ذنبا
نحن استبحنا ما فى دياركم   يوم صبحنا كم بهـا عصبا

فنحن بصدد سباب وهجو ونخر مقيت .

(١) جاء فى الديوان بعد القصيدة « لم يكن قيس حضر يوم بعاث » :

دراسة شعر
عبد الله بن رواحة الإسلامى

روح إسلامية :

إن شعر عبد الله بن رواحة ، بعد بيعة العقبة ، إسلامى بكل ماتتحمل هذه اللفظة من معان . ونحن هنا سنحاول تناول هذا الشعر بالدراسة ، مراعين ما أمكن ، الترتيب الزمنى التقريبى له . ومن المقطوعات التى نظمها ابن رواحة قوله :

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ، أن ماقال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
واعلم علما ليس بالظن أننى ... إلى الله محشور هناك وراجع

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن أخا لكم لايقول الرفث ، يعنى ابن رواحة ، وذلك لقوله هذه الأبيات [1] .

والمتأمل للبيت الأول يتبين أن الشاعر فرح فخور بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم كيف لا ، وهو من الأنصار الذين نصروا رسول الله ، ورحبوا به فى مدينتهم ، واحتضنوه فى منازلهم ، وانطوت على حبه قلوبهم ، ودافعوا عنه أكثر من دفاعهم عن أهلهم وذويهم . وحق للأنصار أن يفرحوا وأن يفخروا ، خاصة وأن القرشيين الذين منهم النبى صلى الله عليه وسلم عميت قلوبهم التى فى

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٢ .

صدورهم عن حقيقة عظمة النبي القرشي الهاشمي . بينما فطن لها الأنصار ، وباقى البيت يبدو فيه التأثر الواضح بقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » (١) .

والتلاوة فى البيت ، تشمل صلاة الفجر وتلاوة القرآن المجردة . وتأمل الفعل « انشق » الذى يدل على شق النور لأديم الظلام ، ولفظتى « معروف » و « ساطع » فى الدلالة على جمال الفجر وروحانيته . وللفجر فى المدينة المنورة جمال وروحانية لا يتصورهما على حقيقتهما إلا من عاشهما فعلا ، فكيف بالفجر الذى يزينه وجهُ المصطفى صلى الله عليه وسلم وترتيله القرآن ترتيلا .

وفى البيت الثانى يقارن بين العمى الذى كانوا فيه فى الجاهلية ، والهدى الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم سبباً فيه .. فقد غدت قلوبهم مؤقنة بأن كل ماقاله النبيّ من أمور غيبية واقع لا محالة . وهذا البيت يذكرنا بقوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٢) وقوله : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » (٣) .

وفى البيت الثالث يصور حال النبي صلى الله عليه وسلم الذى يقضى جزءاً كبيرا من الليل فى العبادة حتى تتورم قدماه . وهو يذكرنا بقوله تعالى :

---

(١) الإسراء ، ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) الجمعة ، ٢ .
(٣) النجم ، ٣ ، ٤ .

«إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكروا بها خَرُّوا سُجَّداً وسبّحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم ينفقون[١]» وبقوله مخاطباً رسوله: «طه، ما أنزلنا القرآن لتشقى»[٢] وبقوله : « يأيها المزمل ، قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، إن ناشئة الليل هى أشد وطاة وأقوم قيلا»[٣] وبقوله فى نفس السورة[٤] «إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ... » وفى هذا البيت يصور المشركين الذين هم كالأنعام ، بل أضل سبيلا ، بأن مضاجعهم ، تتبرم بهم ، وتشكو ثقلهم ، لطول نومهم ، وإخلادهم إلى الكسل والراحة، وعدم معرفتهم لعبادة الله التى من أجلها خلقوا .

وفى البيت الأخير يقرر علمه اليقينى بالحشر ويوم الحساب ، ويأتى بالمصدر « وأعلم علما » ولا يخفى دوره التوكيدى ، ثم هو ينفى الظن عن هذا العلم « ليس بالظن » وكثير هى الآيات التى تتحدث عن البعث والنشور . وقد كان ابن رواحة يتمثل ذلك الموقف الرهيب دائماً[٥] .

---

(١) السجدة ، ١٥ ، ١٦ .

(٢) طه ، ١ ، ٢ .

(٣) المزمل ، ١ — ٦ .

(٤) آية ٢٠ .

(٥) أنظر مثلا تعليله لبكائه أثناء خروجه إلى مؤته فى تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٢ وتاريخه ، مجمع دمشق ، ١ / ٣٩٣ ، والسيرة ٢ / ٣٧٣ وحجته ، التى رضى عنها النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته على الأرض لا على ظهور الرواحل : تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن رواحة : ما الشعر ؟ قال : شيء يختلج فى صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعراً ، قال : فهل تستطيع أن تقول شيئا الآن ؟ فنظر فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نعم [1] ، وأنشد فى الحال قوله [2] .

فخبِّرُنى أثمانَ العباء متى ... كنتم بطاريقَ أو دانت لكم مُضَرُ

نجالدُ الناس عن عُرضٍ فناسِرهم ... فينا النبى وفينا تنزل السُّور

وقد علمتم بأنا ليس غالبنا ... حى من الناس، إن عزوا وإن كثروا

يا هاشم الخير ، إن الله فَضّلكم ... على البرية فضلا ما له غير

إنى تفرست فيك الخير أعرفه ... فراسة خالفتهم فى الذى نظروا

ولو سألت أو استنصرت بعضهم ... فى جل أمرك ما آووا وما نصروا

فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر

وهو يهجو فيها بنى عمرو بن مخزوم وغيرهم من قريش ، ويمدح آل هاشم وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ويبدؤها بتعيين ثمن هؤلاء المشركين وقيمتهم التى لا تعدو فى نظره لكفرهم العباء التى يلبسون [3] .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ وانظر الاستيعاب ٢ / ٢٨٧ .

(٢) الأبيات السبعة الأولى من طبقات ابن سلام : أما الثامن فقد جاء فى السيرة وتاريخ ابن عساكر مع السابع والخامس ؟

(٣) لما قال : فخبرونى أثمان العباء ، عرف فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة أن جعل قومه أثمان العباء ، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٩٠ .

ويطلب منهم فى صيغة الاستفهام الإنكارى بأن يخبروه متى كانوا فى يوم من الأيام قادة حاذقين بالحرب وأمورها ، ومتى خضعت لهم مضر الحمراء فضلا عن غيرها . إنه يعيرهم بأن سلطانهم ضيق لا يتجاوز حدود قبيلتهم ، بعكس المسلمين الذين تتسع حدود سلطانهم بمن الله وفضله . وهذا يذكرنا بقوله تعالى «أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ، والله يحكم لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب »[(١)] .

وفى البيتين الثانى والثالث يشير إلى جهادهم لكل المشركين مستخدماً لفظة « الناس » ويعنى بها القرشيين وسواهم . وكأنه يقول : أننا وفينا للنبى صلى الله عليه وسلم بالعهد الذى قطعه علينا من حرب الأحمر والأسود[(٢)] ونفذنا إذن الله لنا فى القتال بعد العقبة الثانية[(٣)] فى قوله تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا

(١) الرعد ، ٤١ .

(٢) السيرة ١ / ٤٥٤ .

(٣) السيرة ١ / ٤٦٧ .

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [١] ﴾ .

ثم أنزل الله تبارك وتعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » أى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله « أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره[٢] » وحينما يقول ابن رواحة « فنأسرهم » يذكرنا بقوله تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها [٣] .

وواضح أن الأسر هنا دليل الانتصار والقوة . وهل تستطيع فئة كافرة أن تقف أمام المسلمين وفيهم النبى صلى الله عليه وسلم الذى تنزل عليه السور من السماء تترى . لهذه الأسباب ، بالإضافة إلى الشجاعة المتاصلة فينا ، أنتم علمتم يقينا ، بانه ليس هنـاك حى من الناس يستطيع أن يغلبنا مهما كان عزيزاً وكثيراً عدده . وهذا يذكرنا بقوله تعالى : « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ، وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم » [٤] . وينادى بنى هاشم من

---

(١) الحج ، ٣٩ — ٤١ وجاء فى السيرة ١/٤٦٧ « فكانت أول آية نزلت فى أذنه له فى الحرب واحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى (الآيات) أى أنى إنما أحالت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين » .

(٢) السيرة ١ / ٤٦٨ .

(٣) محمد ، ٤ .

(٤) محمد ، ٣٥ .

قريش ، مضيفاً إليهم الخير . « يا هاشم الخير » مشيراً إلى تفضيل الله عز وجل لهم على سائر البرية تفضيلا لن يتغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وكيف يتغير والنبي صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم ؟ !

ويستمر فى البيت الخامس مخاطباً له ، صلى الله عليه وسلم ، معيراً مشركى قريش ، فهم الذين تولوا فاستبدل الله قوماً من الأنصار غيرهم . ومنهم عبد الله بن رواحة الذى تفرس الخير فى وجه المصطفى فصدقت فراسته ، وأثبت أنه ألمعى يظن الظن فكأنه رأى وسمع ، مخالفاً لغباء مشركى قريش ، الذين كذبوا النبى صلى الله وآذوه وأخرجوه من بين ظهرانيهم . وإنها لَزلّة الأبد أن يخرج مشركو قريش النبىَّ القرشى من بينهم فيحتضنه ابنا قَيْلة ، الأوس والخزرج ، مقدرينه حق قدره . وفى البيت السادس يأتى بالفعلين « استنصر » و « نصروا » والفعل « آووا » وليس بعيداً عن ذهنه لقب الأنصار الذى خص به هذان الحيان ، وقوله تعالى « والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »[1] وقوله « والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً »[2] وهو لقب يصور طبيعة نصر هذين الحيين للنبى صلى الله عليه وسلم ومبايعتهم له على أن يحموه مما يحمون منه أُزُرَهم[3] وهو يستخدم لفظة « أجل » بشأن رفض مشركى قريش المتكرر مساعدته فى معظم شئونه ولسان حاله يقول : إن الأنصار قد نصروه فى أموره كلها . ويستمر داعياً الله عز وجل أن يثبت ما آتاه الله من حسن تثبيتَ نبىٍّ

---

(١) الانفال ، ٧٢ .

(٢) الانفال ، ٧٤ .

(٣) جمع إزار ؛ والمراد النساء .

الله موسى ، وأن يهبه النصر الذى وهبه الأنبياء السابقين . وقد وقع هذا البيت :

فثبَّت الله ما آتاك من حسن تثبيتَ موسى ونصراً كالذى نصروا

من النبى صلى الله عليه وسلم موقع الرضا ، فقد قال حينما سمعه : « وأنت فثبّتك الله يا ابن رواحة » قال هشام بن عروة : فثبته الله عز وجل أحسن الثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت له الجنة فدخلها [١] .

والبيت الأخير الذى ينم عن حب عميق من ابن رواحة له صلى الله عليه وسلم ، يقارن فيه بين وضعه هو والمسلمين الذين تنالهم دائماً بركة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويستمتعون باختلاس النظر لوجهه الكريم ، وبين المشركين الذين أزرى بهم القدر ، وألحق بهم نقصاً وخسراناً يلازمهم الدهرَ ، بسبب موقفهم الخاطىء من الإسلام ورسول الله إليهم وإلى الناس كافة .

وهناك مقطوعة من ثلاثة أبيات فى الرجز تفيض بالمعانى الإسلامية :

باسم الإله وبه بَدِينا
ولو عَبَدْنا غيره شَقِينا
وحبَّذا ربا وحبَّ دِينَا

وواضح أنها تتحدث عن الاعتماد على الله عز وجل وعبادته وتمجيده وتمجيد دينه الحنيف .

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٢٨٧ وانظر تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩٠ .

الرجز وحفر الخندق :

من أهون البحور نظما على العربى وأكثرها دورانًا على لسانه بحر الرجز لانسجام صوره المتعددة مع حركات العمل المختلفة، ولأن مقطوعته حتى الإسلام، كان يفترض فيها أن تكون محدودة الأبيات، ثم هو فى أغلب الأحيان وليد ساعته. وهذا يفسر ملازمته المعتادة للمحاربين وقت المبارزة. ولعبد الله ابن رواحة كمية من الرجز طيبة، جارى بها الحوادث ومقتضيات الأحوال. فقد روى مثلا أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق كان ينقل التراب حتى وارى الترابُ شعر صدره وهو يرتجز برجز لعبد الله بن رواحة.[1] وروى أن عبد الله لما قال هذه الأبيات قال رسول الله عليه السلام: اللهم ارحمه. فقال عمر: وجبت، يعنى الشهادة والجنة[2] والأبيات هى :

يارب لولا أنتَ ما اهتدَيْنَا
ولا تصدَّقنا ولا صلَّينَا
فأنزلنْ سكينةً علينـَا
وثبِّت الأقدام إنْ لاقينـَا
إن الكُفّار قد بَغوْا علينا[3]
وإن أرادوا فتنةً أبَيْنَا

وواضح انسجام موسيقى هذه المقطوعة مع حركة الحفر التى يقوم بها المرتجزون، ثم هى تزخر بالمعانى الإسلامية، فيبدأها معترفًا بمنِّ الله وفضله على

(١) (٢) تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩١.
(٣) أيطاء فى «علينا».

الفئة المؤمنة بالهداية إلى طريق الرشاد . وهناك الإشارة إلى الصدقة والصلاة ، وهناك الدعاء بإنزال السكينة على المؤمنين وتثبيت الأقدام ساعة اللقاء ، واستعمال لفظة الكفار ، وكذلك البغى والفتنة بمعناهما الإسلامى . ولا يخفى أن هذه المعانى جديدة على العرب ، وأن التأثر فيها بالقرآن الكريم بيّن .

الرجز وعمرة القضاء :

صدّ مشركو قريش النبيّ صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست عن أن يأتى هو والمسلمون وعددهم سبعمائة [1] بالعمرة ، وكان صلح الحديبية الذى من أهم شروطه فى نظر المشركين « أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً [2] » فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع [3] وروى أن عبد الله ابن رواحة كان آخذاً بخطام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة [4] وحين طاف بالبيت [5] وكان عبد الله يرتجز قائلا :

خلّوا بنى الكفار عن سبيلهِ
خلوا فكلّ الخير فى رسولهِ

(١) السيرة ٢ / ٣٠٩ .
(٢) السيرة ٢ / ٣١٦ .
(٣) السيرة ٢ / ٣٧٠ .
(٤) السيرة ٢ / ٣٧١
(٥) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩١ .

يارب إنى مؤمن بقيله

أعْرِفُ حق الله فى قبولهِ

نحن قتلناكُمْ على تأويلهِ

كما قتلناكم على تنزيلهِ

ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مَقيلهِ

ويذهل الخليلَ عن خليلهِ

وروى أن عمر بن الخطاب أنكر هذا الرجز على ابن رواحة قائلا : « أو هاهنا يا ابن رواحة أيضاً ؟ » [1] وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « خلِّ عنه ياعمر ، فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النَّبل ». [2] والحقيقة أنه كان يهجو قريشاً ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، فكان فى ذلك الزمان أشد شىء عليهم قول حسان وكعب ، وأهون شىء عليهم قول ابن رواحة [3] .

وكون ابن رواحة يأخذ بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم ، ذلك دليل على منزلته عنده . وكونه يرفع صوته بهذا الرجز ، الذى كله هجوم على المشركين الذين كانوا قوىّ الشوكة وقتئذ ، فى عقر دارهم ، فى مكة التى لم تكن بعد قد

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٩١

(٢) المصدر نفسه

(٣) غ « ق » ٢٩/١٥ وانظر « الدار » ١٣٨/٤

فتحت ، ذلك دليل على إيمان ابن رواحة العميق ، وتغلغل روح الفـــداء والتضحية فيه .

فى هذا الرجز ، يخاطب ابن رواحة « بنى الـكفار » ، وليس فى ذلك تعريض بالحاضرين فقط ، بل وبالأموات من الآباء والأجداد ، ويأمرهم أن يتركوا طريق النبى صلى الله عليه وسلم خالياً منهم كى يملأه بالخير كل الخير ، إنهـم عريقو النسب فى الـكفر ، أما هو فمؤمن بكل ما يوحى به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم يقينا أن لله حقاً فى قبول ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى .

والأبيات الأربعة التالية توحى بالثقة المطلقة والإيمـان العميق : إننا نحن الذين قتلناكم على تأويله ، وهو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ، ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به ، كما فى قوله تعالى : « هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتى تأويله » (١) كما قتلناكم على تنزيله ، حينما أمرنا الله عز وجل أن نقاتلـكم ، وهو يشير إلى ما فعلوا بهم خاصة فى بدر ، وقد قال ابن رواحة فى الموضعين « قتلناكم » مشيراً إلى النتائج الإيجابية للقتال الفعلى ، فقد يكون هناك قتال دون قتل . ويستعمل المصدر « ضرباً » فى قوله « ضرباً يزيل الهام عن مقيله » والذى يقوم بهذا العمل هو السيف ، ولا يعمل إلا إذا كان هناك تلاحم بين الفريقين المتقاتلين . وكَوْن السيف الذى يستعملون يزيل الهام من مغرزه بين الـكتفين ذلك دليـل على خبرتهم التـامة باستعمال السـلاح ورباطة جأشهم سـاعة الفزع .

(١) محمود شاكر . هامش طبقات ابن سلام .

هذا الضرب من الشدة للدرجة التى تجعل الذى أصْفَى المودةَ وأصحَّها مشغولا بنفسه مذهولا عن خليله ، وكأنه فى يوم الحشر . وواضح أن السبب الذى يكمن وراء شدة الضرب أن هذه الفئة مؤمنة بينما الأخرى كافرة .

شعره وغزوة مؤتة :

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضاء المدينةَ فى ذى الحجة وأقام بالمدينة حتى بعث إلى مؤتة فى جمادى من سنة ثمان(1). وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدى ثم أحد بنى لهب إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال: أين تريد ؟ قال الشام . قال لعلك من رسل محمد ؟ قال : نعم . أنا رسول رسول الله . فأمر به فأُوثِق رباطاً ، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً . ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر فاشتد عليه ، و ندب الناسَ ، وأخبرهم بمقتل الحارث ومَنْ قتله ، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف (2) وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فى مؤتة زيد بن حارثة ثم قال : ثم قال : فإن أصيب زيد فجعفر ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب فَلْيرتضِ المسلمون رجلا فيجعلوه عليهم ، فتجهز الناس وتهيئوا للخروج (3) وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع

(1) تاريخ ابن عساكر ، مجمع دمشق ١/٣٨٨ .
(2) » » » » » ١/٣٨٩ .
(3) » » » » » ١/٣٨٨ .

الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما وُدِّع عبد الله ابن رواحة . . . . بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابى حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار :« وإنْ منكم إلا واردُها ، كان على ربك حتما مقضياً » فلست أدرى بالصدَر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فرغ تقذف الزَّبدا
أو طعنة بيدىْ حرّان مجهزة ... بحربة تُنفِذُ الأحشاء والكبِدَا
حتى يقال إذا مروا على جدثى ... أرشده الله من غاز وقد رشدا[1]

لنتصور هذا المشهد الرهيب المهيب ، جيش سينطلق غازياً لا يدرى ما الله صانع به ، وقد خرج لتوديعه على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ويدْعى لهم بأن يعودوا صالحين سالمين ، ويؤَمن الجميع باستثناء ابن رواحة الذى يسأل الله عز وجل وقتها الشهادة . فما السبب الذى دفع ابن رواحة إلى ذلك ؟ إذ المعروف أنه من الثلاثة والسبعين رجلا الذين شهدوا العقبة الثانية،وأحد الاثنَىْ عشر نقيباً الذين اختيروا بأمر من النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة والذين قال لهم: « أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومى » يعنى المسلمين[2] وشهد بدراً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه

(١) السيرة ٣٧٣/٢ .
(٢) السيرة ٤٤٦/٢ .

وسلم ، عن المحاربين فى بدر « لعل الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[١] وهو أحد الأنصار الثلاثة الذين خرجوا فى بدر للمبارزين الثلاثة من قريش ، فرفض القرشيون مبارزتهم[٢] وشهد أحداً والخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلها.[٣] وقد كان « أول خارج إلى الغزو وآخر قافل »[٤] وفوق كل ذلك كان عابداً لله حق العبادة ، فقد جاء مثلا فى الحديث « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ، وإن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، ما منا صائم إلا ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة[٥] » ومعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم مُعَانٌ من الله عز وجل على العبادة[٦] وكان ينهى المسلمين أن يتكلفوا فوق طاقتهم ، ولكن حرص ابن رواحة على التأسى برسول الله هو الذى يدفعه إلى تجشم أمثال هذه الصعاب . وكان صلى الله عليه وسلم يرضى عن فعل ابن رواحة الحريص على الثواب[٧] وأحياناً يُرْشده إلى الطريق الأمثل[٨]

وله الكثير من المناقب التى أجمع عليها كل الذين تحدثوا عنه . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عنه : « رحم الله ابن رواحة ، كان أينما أدْرَكته

---

(١) السيرة ٢/٣٩٩ .

(٢) السيرة ١/٦٢٥ .

(٣) الاستيعاب ٢/٢٨٥ .

(٤) الاستيعاب ٢/٢٨٥ .

(٥) تهذيب ابن عساكر ٧/٢٨٩ .

(٦) نيل المرام ١/٣٢٢ .

(٧) أنظر مثلا تهذيب ابن عساكر ٧/٣٨٧، ٣٨٨ .

(٨) تهذيب ابن عساكر ٧/٣٨٩، ٣٩٠ .

الصلاة أناخ »[١] وقال أيضاً عنه فى حياته « يرحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التى تقباهى بها الملائكة »[٢] والمراد مجالس العلم .

وقال : « نِعْم الرجلُ عبد الله ابن رواحة » فى حديث طويل[٣] ودعا له النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » وله من المنزلة فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مالا يخفى وكأن النبى صلى الله عليه وسلم أدرك أن فرح ابن رواحة بانتصار المسلمين فى بدر ليس عليه من مزيد ، فبعثه « بشيراً إلى أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافِلَة »[٤] .

إن السبب الذى دفع ابن رواحة إلى طلب الشهادة بدلا من أن يعودَ صالحاً سالما هو أن هذا الرجل ، المثالى الإيمان ، لم يكن يقنعه إلا أن ينال أعلى الدرجات التى يمكن لمؤمن من أتباع محمد بن عبد الله أن ينالها . وليس هناك درجة أعلى من الشهادة يمكن أن تنال لشخص مثله ، لذلك سعى إليها هذا المؤمن الطموح ، وحرص عليها ، ودعا الله عز وجل مخلصاً أن يهبها له . والآن هو على وشك التوجه إلى غزوة من أهم الغزوات . وهل يمكن أن تنال الشهادة إلا فى مثل هذه الغزوة ؟ إنها فرصة العمر بالنسبة له . وفى تلك

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٨ .
(٣) ا ص ٢٩٨ وتهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٧ .
(٤) السيرة ١ / ٦٤٢ . وانظر ١ ص ٢ / ٢٩٨ .

اللحظة الخالدة يتجاذب ابنَ رواحة حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم الذي سيفارقه ورهبة المعاني في قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضياً » والرغبة في الشهادة ، غير المتأكد من حصوله عليها ، فيبكي رضي الله عنه ، ويجد برد فؤاده في الابتهال إلى الله عز وجل أن يتكرم عليه بالشهادة، وكأنه تذكر قوله آنفاً « لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت » حينما أنزل الله عز وجل في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا في مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت ، قوله [1] : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» [2] فتجرى على لسانه تلك الأبيات الثلاثة التي تتفجر بالفداء والتضحية .

وواضح أنه يبدأ البيت الأول بلكن ، وكأنه يريد أن يستدرك على أولئك الذين دعوا له بالعودة سالماً . إنه يسأل الله عز وجل المغفرة التي يشفع في سبيلها السؤال بالعمل . وأي عمل أشرف من أن يُقتل الإنسان مجاهداً في سبيل الله فينال الشهادة . لذلك هو يأتي بواو العطف ،: « لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة . . . أو طعنة» إنه يستعمل « ضربة » المرتبطة بالسيف و« طعنة» المرتبطة بالرمح . وقد ابتدأ بالضرب الدال على تصميم مجاهدنا على التلاحم في المعركة بالأعداء . وإن كان البعد بين المتحاربين محدوداً أمكن استعمال

---

(١) الصف ٢ — ٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٧ / ٣٨٩ .

الرمح ، وهو ما عناه بقوله « أو طعنة » ولم يخطر ببال الشاعر أن يكون بينه وبين أعداء الله فى المعركة مسافة يحوجهم فيها إلى استعمال النبال .

إن حرصه على الشهادة لا يجعل مثل هذا البعد بالنسبة له ممكناً .

وتأمل نوع الضربة التى يتمنى .. إنها ضربة بالسيف واسعة عميقة يتدفق بسببها الدم وكأنها تقذف به وقد علاه زبده ورغوته . وتأمل نوع الطعنة . . إنها طعنة بحربة من يد كافر يغلى الحقد على الإسلام فى جوفه ، تُنْفِذُ من ابن رواحة ما دون الحجاب مما فى البطن من كبِد وطِحال وكَرِش وما تبعه ، ويخرج طرفها من شقه الآخر ، فيضمن بإحداهما الجنة .

ويستمر الشاعر فى سؤاله ، وكأن الله عز وجل قد استجاب له فعلاً .

حتى يُقال إذا مرّوا على جدثى أرشده الله من غاز وقد رشدا

ومعنى الشطر الثانى أن الله عز وجل قد هداه إلى طريق الحق ، طريق الجهاد فى سبيله ، فسار فيه واستمر حتى النهاية . ولكن من الذى يقول هذا ؟ إنهم المؤمنون حقا والغازون فى سبيل الله ، الذين انتفعوا من الدرس الذى ألقاه ابن رواحة . ويبدو هنا تفاؤله ببقاء ذلك المكان النائى آنذاك « مؤتة » آهلا بالمسلمين ، ورغبته فى الجمع بين الشهادة والمزية .

ونحن فى غنى عن أن نقول : إن ابن رواحة الشجاع ، كان إيجابيًا فى طلبه الشهادة ، إذ لم يكن من المعقول أن يقدم نفسه لقمة سائغة لأعداء الله ، ولكنه من الذين يشملهم قوله تعالى فى كتابه العزيز « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيَقْتُلون ويُقْتَلون وعداً

عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم[(١)] » .

وتحرك الجيش ، وعاد المودعون ، فلم يفتقد ابنُ رواحة غير النبى صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه :

خلف السلام على امرىء ودَّعته　　فى النخل خيرِ مشيِّع وخليلِ

فالله عز وجل خليفة على خير من خرج للتوديع ، وخير من أصفى المودة وأصحَّها ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ودعه ابن رواحة . ويلاحظ أن لفظة الخليل تكرر استعمالها فى رجز ابن رواحة . وهى بدورها تكررت فى القرآن الكريم ، ودارت على لسانه صلى الله عليه وسلم . وانطلق الجيش متوجهاً إلى مؤتة ، والعادة جرت أن يمتطوا النوق ويجنبوا الخيل إلى المعركة ومنها[(٢)] .

وروى عن زيد بن أرقم ، الذى كان يتيما فى حجر عبد الله بن رواحة ، فخرج به فى سفره ذلك مردفا له على حقيبة[(٣)] رحله ، أنه سمعه وهو يسير فى إحدى الليالى ينشد أبياته هذه :

إذا أدنيتِنى وحملت رحلى　　مسيرة أربع بعد الحساء

---

(١) التوبة ، ١١١

(٢) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة أحد عليا فى أثر أبى سفيان ومن معه « وقال : أنظر ، فان جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة » تاريخ ابن الأثير ٢ / ١٦٠ .

(٣) الحقيبة فى الأصل ، العجيزة ، ثم سمى مايحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيبة مجازا ، لأنه محمول على العجز .

فشأنك أنعمٌ وخلاك ذم ولا أرْجِـعْ إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى بأرض الشام مشتهى الثواء
وردّك كلُّ ذى نسب قريبٍ إلى الرحمن ، منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بَعْل ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعته منه بكيت . قال : نخفقنى(١) بالدّرة(٢) وقال : ماعليك يالـكع(٣) أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى(٤) الرحل(٥) !

فى هذه المقطوعة ، يخاطب الشاعر ناقته بقوله : إذا أوصلتنى المـكان الذى أبغى ، مكان الجهاد فى سبيل الله ، وحملت مركبك الذى عليه أجلس مسافة أربع ليال بعد قرية أحساء(٦) ، فمن حقك أن تنعمى بالحرية المطلقة ، والمسرة الدائمة ، لأنك قمت ، غير مذمومة ، بكل ما أطلبه منك بإيصالى إلى ساحة الجهاد ، فإنى قد دعوت الله عز وجل أن يكتب لى الشهادة وألا يعيـدنى إلى أهلى . فحينما تعودين لن تـكافى مثل هذه المشقة ثانية . والشاعر يحدد الليالى التى يحتاجها بعدالحساء للوصول إلى مكان المعركة ، فقد كان هو وقومه على علم تام بخطة سيرهم . ثم هو مطمئن النفس مرتاح البال قرير العين سعيد بهذا العمل المجيد الذى يقوم به ، معترف بفضل ناقته عليه ، وباليد البيضاء التى أسدتها إليه

---

(١) خفقنى : ضربنى .
(٢) الدرة : السوط .
(٣) يا لـكع ، كصرد : يالئيم .
(٤) شعبتا الرحل : طرفاه ، المقدم والمؤخر .
(٥) السيرة ٢ / ٣٧٧ .
(٦) « ثم انحاز المسلمون إلى مؤته ، قرية فوق أحساء » تاريخ ابن عساكر مجمع دمشق ١ / ٣٨٩ .

والتى لايمكن أن يجحدها . وابن رواحة هنا ، صاحب مذهب محمود فى رد الجميل إلى الناقة ، فهذا داود بن سَلْم المدنى[1] يخاطب قُثَم بن العباس ، أخا عبد الله بن العباس[2] :

نجوتِ من حلٍّ ومن رحلةٍ ياناقَ إن أدنيتنى من قُثَمْ
إنك إن أدنَيْتِ منه غداً حالفنى اليُسْرُ ومات العدمْ

وتبعهما الحسن بن هانىء فقال وأحسن :

وإذا المطىُّ بنا بلغن محمداً فظهورهُنَّ على الرجال حرامُ
قرَّبننا من خيرِ مَنْ وطىء الثرى فلها علينا حرمة وذمامُ

ويستمر ابن رواحة مستخدما واو العطف فكأنه يقول وإذا جاء المسلمون وهذا شىء طبيعى أن يعود باقى الجيش صالحاً سالماً ، ولكنه يأتى بالفعل فى صيغة الماضى ، فكأن الجيش قد جاء فعلا . ويأتى بالصيغة نفسها مباشرة « وغادرونى » فكأن الرجل قد استشهد فعلا وعاد جيش مؤتة دونه . كما يأتى بـ « مشتهى الثواء » فشهوته أن يبقى فى أرض الشام شهيداً . وكان رحمه الله يظن أنه سيبقى وحيداً هناك ، والواقع أنه استشهد معه آخرون . ويعود إلى مخاطبة ناقته مستعملا واو العطف :

وردَّك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

فإذا رد هذه الناقة إخوته فى الإسلام ، القريبون من الرحمن بأعمالهم الصالحة ،

---

(١) من مختصرى الدولتين ، الأموية والعباسية . غ ٦/١٠ .
(٢) انظر غ ٦/٢٠ و ٩/١٦٩ و م الأدباء ٤/١٩٢ والخزانة ٣/٣٣ وابن عساكر ٥/٢٠٠ والسمط ١/٢١٩ .

وبقى منقطع الإخاء ، فليس معه إخوة فى النسب ولا فى الدين ، إذ غادر الدنيا فهذه هى مُنيته الصحيحة ، وهذه هى فرحته الحقيقية ، وبالقياس لهذه الفرحة ، ما أرخص فرحة الدنيا ، بمافى ذلك فرحه بأول مايبدو من تمر نخله الذى يشرب ويرتوى بعُروقه فيستغنى عن السَّقى والسماء ، أو الذى يقوم هو بخدمته . وكأنى بابن رواحة هنا يستفيد من من أخُوة الإسلام الحقيقية ، ومعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما آخى بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين المقداد بن عمرو[1] . ويفهم من البيت الأخير أنه كانت له علاقة بالنخل الذى تعرف به بيئة المدينة المنورة . . وفى هذه الرحلة قال عبد الله بن رواحة لزيد ابن أرقم .

يازيدُ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبلَ

تطاول الليلُ هُدِيتَ فانزلِ

وقد أضاف زيداً إلى الإبل القوية على العمل ، الضامرة من طول السفر لحسن قيامه عليها ومعرفته بحدائها ، وطلب منه داعياً له بالهداية أن ينزل عن راحلته ويحدو الإبل ، وينشطها بالحداء ، ويزيل عنها التعب والإعياء ، فإن الليل قد طال . والشاعر يصف الإبل بالقوة المطلوبة منها لقطع تلك المسافات الشاسعة ، وبالضمور ، وذلك دليل على تأثير السفر فيها . ونتبين من هذين البيتين العلاقة الوثيقة بين الحداء ليـلا وتنشيط الإبل . وقد تستفاد العلاقة بين الحداء وبحر الرجز . فلا يستبعد أن يكون ابن رواحة أخذ يترنم للإبل بهذين البيتين اللذين يخاطب بهما زيد بن أرقم . وهما ، بالإضافة إلى بقية الرجز الذى ينسب لابن رواحة دليل على أن عدد أبيات الرجز محدود فى تلك الأثناء .

---

(١) ا ص ٢ / ٢٩٨ .

وهو يأتى بجمله « هديت » ، وهل هناك دعاء لزيد فى نظر ابن رواحة المؤمن يتقدم الدعاء بالهداية ؟

قال زيد (بن أرقم) : ثم نزل (ابن رواحة) فصلى ركعتين دعا فيهما دعاء طويلا ثم قال لى : ياغلام ، فقلت لبيك . فقال : هى إن شاء الله الشهادة »[١] لقد بلغت نفس ابن رواحة من الرقة والشفافية والإخلاص فى حب الله لدرجة الثقة والاطمئنان إلى أن الله عز وجل قد استجاب دعاءها .

هذا التصميم على الشهادة هو الذى جعل لابن رواحة رأيه الخاص حينما نزل الجيش « معان فبلغهم أن هرقل قد نزل بمآب[٢] فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة[٣] فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا فى أمرهم . وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فإما يردنا وإما يزيدنا رجالا . فبينا النـاس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحة فشجعهم ثم قال : والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة ســلاح ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . انطلقوا ، والله لقد رأيتنا يوم بدر مامعنا إلا فرسان ويوم أحد فرس واحدة . فإنما هي إحدى الحسنيين . إما ظهور عليهم فذلك ماوعدنا الله ووعد نبينا وليس لوعده خلف وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم فى الجنان . فتشجع الناس على مثل قول ابن رواحة[٤] » وهل كان ينتظر من ابن رواحة سوى التصميم على الجهاد ، مهما كان العدو كثيراً فى العدد والعدة ، وقد لاحت له تباشير الشهادة ؟ !

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣٩٣/٧ .

(٢) مآب ، بوزن معاب : مدينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء .

(٣) تاريخ ابن عساكر مجمع دمشق ٣٨٩/١ .

(٤) المصدر نفسه ٣٩٥/١ .

وفى معان ، نظم ابن رواحة مقطوعة من بحر الوافر الذى ينسجم تماماً مع الاندفاع والحماس الذى عُرِفَ به كل واحد فى الجيش ، ومع وقوع حوافر الخيل التى ترجم الأرض بها . وليس ببعيد عنا تلك المقطوعة التى نظمها فى نفس الوزن ، وقد يكون متأثراً بابن رواحة ، قيسُ بنُ المكشوح المرادىّ قاتل رستم قائد الفرس فى موقعة القادسية ، فى مقطوعته ومطلعها[1] :

جلبت الخيل من صنعاء تردِى بكل مدجَّج كالليث سامِى

ومقطوعة ابن رواحة هذه يدور الحديث فيها عن الخيل ، والمراد بطبيعة الحال أربابها ، فتقدمها من تقدمهم ، وتجشمها للصعاب من تجشمهم ، واقتحامها قلب المعامع من تصميمهم على الجهـاد فى سبيل الله ، وبذل الأرواح رخيصة ابتغاء مرضاته . ويبدؤها ابن رواحة بقوله :

جَلَبْنا الخَيْلَ من أجأ وفَرْعٍ تُغَرُّ من الحشيش لها العُكومُ

ولا يخفى مايرتبط بالفعل « جلب » من صياح وجلبة وزجر واستحثاث للخيل بقصد أن تسرع بل أن تسبق . ولكن تسبق ماذا ؟ وإلى أين ؟ إنها يسبق بعضُها البعض . فالمعروف أن الفرس فى القطيع أسرع منه وحيداً . أما إلى أين ، فإلى أولئك الذين قتلوا رسولَ رسولِ الله كىْ يذوقوا وبال أمرهم ، ويذكر الشاعر اسمين من الأماكن التى مر بها جيش مؤتة « أجأ وفرع » ويشير إلى طبيعة عنايتهم بالخيل ، فهى تطعم كميات معلومة من الحشيش الذى تحب .

وينتقل إلى تصوير المشقة التى عانتها الخيل ، والطرق الوعرة التى أرغمتها عزيمة أصحابها على سلوكها .

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ٣٢٠ .

حذوناها من الصوّان سِبْتًا أَزَلَّ كأنَّ صَفْحَتَهُ أَديمُ

لقد اتصلت الطرق الصعبة الوعرة غير المألوفة ببعضها . فلا تقع حوافر الخيل إلاّ على حجارة .

وكأن الصوان(١) لعدم إخطاء حوافرها لها أو انحرافها عنها ، نعالٌ مدبوغة ملساء تلبسها . ويعين المدة التى مكثها الجيش فى معان ، وهى ليلتان ، وفى هذه الفترة كانت الخيل قد نالت قسطاً كبيراً من الراحة بعد المشقة التى عانت :

أقامت ليلتين على معانٍ فأَعْقَبَ بعد فترتِها جُمومُ

ويلاحظ فضل مثل هذا التحديد الزمنى على التاريخ . وأتى الله بالصباح فتحرك الجيش الغازى ، واندفعت الخيل مرسلة طليقة وكلها نشاط وحيوية ، وكان الجو لافحاً ، فهى تستنشق هواءه الحار . ولا يخفى المشقة التى يعانيها الفرسان ضمْناً :

ويأتى البيت الذى ينم عن إيمان وقوة وثقة وعزيمة لا تنثنى .

فلا وأبى مآبَ لنأتِيَنْها وإنْ كانتْ بِهاَ عَرَبٌ ورومُ

إنه يأتى بلا النافية ، وكأنه يجيب أولئك المغرورين بكثرتهم الذين يقول لسان حالهم : إنه لا يمكن للمسلمين القليلى العدد والعدة أن يبلغ بهم الاستهتار ، إلى حد أن يأتوا إلى مآب ، المكان الذى نعسكر فيه . فيقول ابن رواحة بملء فيه : لا ، مآبَ لنأتِيَنْها ، ولا يخفى دور لام القسم الفعال فى « لنأتينها » ثم هو قد قدم المفعول به « مآب » وفى ذلك شد للانتباه ودلالة على التصميم ،

(١) ضرب من الحجارة شديد ، واحدتها صوانة .

وقد سبق ذلك بواو القسم ثم بالمقسم به ، أبيه . وقد لا يتوقع مقسمٌ به كهذا من ابن رواحة المؤمن . وعذره فى ذلك أنه يتمشى مع الوزن الموسيقى ، وليس الوقت وقت تنقيح للشعر أو تهذيب ، ثم إنّ العهـــد قريب بالعادات الفنية الجاهلية . والشطر الثانى « وإن كانت بها عرب وروم » يدل على تصميم الجيش الإسلامى ، الذى كان على علم تام بحقيقة عدوه .

ونلاحظ هنا أيضاً التوافق التام مع الأخبار التاريخية . ويقول مستمراً :

فَعَبَّأْنا أَعِنَّتَها فجـــــــاءتْ عوابِسَ والغبارُ لها بريمُ

بذى لَجَبٍ كأنَّ البَيْضَ فيه إذا بَرَزَتْ قوانسُها النجومُ

وهو يجىء بالفعل الماضى « عبأ » فهم قد انتهوا من تجهيز الأعنة . فلم خصَّها بالذكر ؟ لارتباط الأعنة بالمرحلة الأخيرة من التعبئة ، فحينما يكون الفارس ممتطياً جواده يلاعب عنانه . وفى تجهيزه له تجهيز ضمنى لـكل ماعداه فـكأن الشاعر يقول : نحن فى أكمل عدة وأتم استعداد . ويردف ذلك الفعل الماضى بآخر « فجاءت عوابس » إن هذه الخيل تبدو عوابس لـكل عين . إنها تستمد هذه الصفة من خطورة الموقف وصرامة أصحابها . وقد أثارت غباراً امتزج لونه بلونها حينما اندفعت بجيش المسلمين ذى الضجيج والصياح ، المدجج فى سلاحه ، المعنى به ، فـكأن أعالى بيض الحديد النجومُ المتألقة ، حينما خرجت نهاراً كتائب الفرسان إلى البراح . ويقول عن هذه الـكتائب :

فراضيةُ المعيشةِ طلَّقتْها أسنّتُها فتَنْـكح أو تَئيمُ

فهذه الفئة المجـاهدة فى سبيل الله ، حينما شرعت الأسنة ، طلقت تلك المعيشة التى كانت راضية بها ، واستقبلت أخرى قوامها بذل الروح رخيصة فى

سبيل الله جل وعلا . وسواء فى نظرها أن يقَدَّرَ لها البقاء فتعود بعد الفوز بثواب الجهاد إلى أخذ نصيبها من الدنيا ، أو تُسْتَشْهد . وقد جعل النكاح رمزاً للبقاء ، والأيْمَ ، بمعنى البقاء بلا زوجة ، رمزاً للموت .

وأخيراً تم اللقاء بين الجيشين فى مؤتة . واستشهد زيد بن حارثة وجعفر فحمل الراية ابن رواحة ، وتقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقْسَمْتُ يانفسُ لَتَنزِلِنَّهْ
طائعــــــةً أو فَلَتُكْرَهِنَّهْ
إذْ أجْلَبَ الناسُ وشدُّوا الرَّنَّه
مالى أراكِ تَكْرَهين الجنَّه
وطالما قد كُنْتِ مُطْمَئِنَّه
هَلْ أنْتِ إلاّ نُطْفَةٌ فى شَنَّه

وقال أيضاً :

يانَفْسُ إلا تُقْتَلِى تموتى
هذا حِمام الموتِ قد صَليتِ
ومـا تَمَنَّيْتِ فقد أُعطيتِ
إنْ تَفْعَلِى فِعْلَهُمَا هُدِيتِ
أوْ تَبْقَلَىْ فطالما عُوفيتِ
وإنْ تأخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ

فهاتان المقطوعتان من بحر الرجز وليدتا ساعتهما . وواضح أن المعركة من حيث العدد والعدة غير متكافئة ، والقائد حامل الراية ، فى مثل هذا الوضع ، هدفٌ للفئة الأخرى . لقد اتضحت لابن رواحة النهاية وثبتت فى نظره الشهادة والمسألة تحتاج فقط قليلا من التقدم . ويتبين الموقف الرهيب ، خاصة ونحن بصدد نفس شاعرة ، تتمثل خفايا الجزئيات بوضوح ، بل قد تجسمها . والوضع فى مؤتة بطبعه لايحتاج إلى تمثل أو تجسيم ، فقد قتل زيد الذى قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، الذى لا ينطق عن الهوى : « إن أصيب فجعفر » وقتلَ جعفر ، الذى قال عنه : « وإن أصيب فعبد الله بن رواحة » . والآن القائد ابن رواحة . لقد تحقق قوله صلى الله عليه وسلم بإصابة الأميرين ، ويوشك أن يتحقق قوله فى ابن رواحة . وعما قليل ، سيكون للمسلمين قائد غيره ، وربما آخر وثالث وهكذا . إنه الموت ، وإنها الشهادة ، وإنه الصراع الأزَلِىّ فى الأنفس بين الرغبة والرهبة من الموت ، وإنه الطمع عند النفوس المؤمنة المطمئنة فى لقاء وجه الله عزوجل . وإنه الموقف فى المعركة الذى يتساوى فيه للوهلة الأولى الجبـــان والشجاع ثم يفترقان . الجبان ينـكص والشجاع يتقـدم . كل ذلك وكثير غيره صادفه ابن رواحة فى تلك اللحظة الحرجة التى لم يَطلْ فيها تردده . فسرعان ما انتصر الحق فى نفسه على الباطل فاندفع وقاتل حيناً ثم نزل « فلما أتاه ابن عم له بعَرْق[1] من لحم فقال : شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت فى أيامك هذه مالقيت . فأخذه من يده ثم انتهش[2] منه نهشة ، ثم سمع الحَطْمة[3] فى ناحية الناس ، فقـال : وأنتَ فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قُتِل »[4] .

---

(١) العظم الذى عليه بعض اللحم .

(٢) أخذ منه بفمه يسيراً .

(٣) زحام الناس ، وحطم بعضهم بعضاً .

(٤) السيرة ٢/٣٧٩ والاستيعاب ٢/٢٨٦ .

ونحن نود أن نقف عند تردد ابن رواحة أول الأمر . فمثل هذا الموقف يصادفه عادة أعظم الشجعان ، فقد صادفه عمرو بن الإطنابة ، الفارس الخزرجى والشاعر الجاهلى : يقول مثلا(١) :

أبَتْ لى عِفّتى وأبَى بلائى وأخْذِى الحمدَ بالثمن الربيحِ
وإقدامى على المكروهِ نَفْسِى وضَرْبِى هامةَ البطلِ المشيح
وقولى كلما جَشأتْ(٢) وجاشَتْ مكانَكِ ، تُحْمَدِى أو تستريحي

وصادفه فارس اليمن ، عمرو بن معد يكرب إذ يقول(٣) :

فجاشَتْ إلىَّ النفسُ أوّلَ مَرّةٍ وردَّتْ على مكروهها فاستقرت

وصادفه صاعقة من صواعق الدنيا ، قطرِىُّ بنُ الفجاءة المازنى . يقول(٤) :

أقول لها وقد طارت شَعاعاً(٥) من الأبطالِ وَيْحكِ لنْ تُراعى

ويحدث من كل هؤلاء الأبطال الأفذاذ ترويض للنفس على الصبر على المكروه .

وواضح أن هذا الشعور طبيعى ، وليس مصدرُه الجبنَ والفرقَ ولكنه التقدير الصحيح للموقف ، فإن لذلك اليوم مابعده . وفرقٌ بيِّن بَيْنَ صحيح

(١) اثير ١ / ٢٨١ والعيون ١ / ١٢٦ والعقد ١ / ١٢٢ وم المرزبانى ٢٠٤ والأمالى ١ / ٢٦٢ وحم بحترى ص ١ والمجالس ٨٣ والأشباه ١ / ١٨ .
(٢) جشأت : تطلعت ونهضت جزعا وكراهة . وجاشت : غثت أو دارت للغثيان .
(٣) حماسة المرزوقى ١٥٨ .
(٤) ديوان الحماسة لأبى تمام (طبع صبيح) ١/٣٣ وحم بحترى ص ٣ .
(٥) الشعاع ، بفتح الشين : تفرق الدم وغيره .

التقدير الذى هذا موقفه ، وغير صحيحه ، الذى يتوجه إلى الحرب بشىء غير قليل من اللامبالاة ، فيسهل أكله . وفرق بَين كذلك بين مرهفى الإحساس دقيق الحساب الذين يدركون تماماً أن أدنى خطأ فى التقدير يجر قومهم إلى كثير من الويلات والدمار ، فكلهم إحساس وإدراك وبين بليدى الإحساس قاصرى الإدراك ، فما أسهل اصطيادهم وما أهونهم على أعدائهم .

لقد وجد ابن رواحة ريح الجنة ، فشخّص من نفسه مثالا خاطبه فى المقطوعة الأولى فى لهجة الجازم ، المحرض ، المرغب ، المُمَنِّى ، المؤنب ، المهون من شأن هذه النفس . فهو يبدأ رجزه مقسما بالله العظيم أن تنزل نفسه وتدخل فى قلب المعركة . وهو يأتى فى « لتنزلنه » بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة وهاء السكت . ويكرر ذلك فى البيت التالى « لتكرهنه » وقد جعل من النون الثقيلة قافية . وواضح أن هاء السكت قوة لها . إن بحر الرجز ، فى صورته هذه يتمشى مع حماس الشاعر وشدة انفعاله . فالشطر من الرجز يعتبر بيتاً . والبيت الواحد عادة يتضمن معنى شبه مستقل بذاته . فكأن مايطلب فى شطرى البيت فى غيره يطلب فى شطره . وإن نون التوكيد الثقيلة هنا تتيح للنفس المنفعلة ، ذات دقات القلب السريعة ، أن تتخلص من كمية كبيرة من الشعور الذى وقفته النفس التى هذا وضعها على البيت الواحد من الرجز . ويلاحظ أن النون فى الأبيات الأخرى أصلية وليست للتوكيد ، ولكن لها نفس الدور لأن نطقها لايختلف . ويبدو هذا من نطق « الرنه » « الجنه » « مطمئنه » « شنه » .

ويبدو فى البيت الأول « أقسمت يانفس لتنزلنه » الأمر الجازم : وفى قوله « طائعة أو فلتكرهنه » إلزام للنفس بالنزول عن طريق الترغيب والترهيب .

وفى قوله « إذ أجلب الناس وشدوا الرنه » إذكاء لروح المنافسة فيها . وفى قوله فى صيغة الاستفهام الإنكارى : « مالى أراك تكرهين الجنة » إغراء

لها بأنه ليس بينها وبين الجنة إلا بضع خطوات تخطوها . وفى قوله « وطالما قد كنت مطمئنة » تأنيب لها على إلفها لنعيم الدنيا الذى طال أمده ، وكان الأولى بها ، وأمامها فرصة العمر ، أن تظهر بَرَمَها من هذا النعيم وفرحها بلقاء النعيم الأزلى .

وفى بيت الاستعارة : « هل أنت إلا نطفة فى شنه » إعطاء لهذه النفس القيمة الحقيقية لها ، فهى بمنزلة القليل من الماء الذى يبقى فى القربة ، وإنَّ جَسَدَه وِعاء نفْسِه بمنزلة القِرْبة الخلق الصغيرة ، فتوشك نفسه أو روحه أن تغادره ، حتى لو سلم من هذه المعركة تماما كما يتوقع لقليل الماء فى السقاء البالى أن يتسرب منه .

وواضح أننا بصدد ألفاظ ذات صبغة إسلامية . فقوله « طائعة أو فلتكرهنه » يذكرنا بقوله تعالى « فقال لها وللأرض ائتيا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قالتَا أتينا طائعين »[1] . وعندنا لفظتا « الجنة » و « مطمئنة » اللتان تذكراننا بقوله تعالى « يَاأَيَّتُهاَ النفسُ المطمئنةُ * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى »[2] ولا يخفى أنه يستعمل « مطمئنة » للدلالة على نوع الحياة التى عاشها رضى الله عنه . ورحم الله ابن رواحة الذى كان يشُقّ على نفسه ابتغاء مرضاة ربه كثيرا .

وفى المقطوعة الثانية حينما يقول « إلاَّ تُقْتَلِى تموتى » إنما يبين قوله السابق ، « هل أنت إلا نطفة فى شنه » فهناك نتيجة حتمية للحياة ، هى الموت ، وهو آت لا محالة ، ولن ينجو منه مخلوق . فالأَوْلَى بها وقد دنت من القضاء

---

(١) سورة فصلت ١١ .

(٢) الفجر : ٢٧ — ٣٠ .

عليها بالموت ، للدرجة التي أحست فيها بحرارته ، أن تهتبل الفرصة - وألا تضيعها . خاصة وأنها قد أعطيت ما تمنت من الشهادة . والعادة جرت أن يسعى الإنسان لما يطلب ويتمنى ، لا أن يُثنَى إليه . ويستمر مخاطباً نفسه بأنها لا تنفرد بعمل كهذا ، فقد سبقها إليه زيد وجعفر ، وقد دعاهما الله إلى الطريق الصحيح ، طريق الشهادة . أفتأبى أن تكون تبعاً وقد فاتها أن تكون بِدْعاً ؟ أما آن لها أن تشعر بالملل لطول السلامة والعافية ، وقد حان وقت الابتلاء فى مرضاة الله ؟ ويقرر لها النتيجة الوخيمة لو أضاعت هذه الفرصة النادرة « وإن تأخرت فقد شقيت » ويتضح معنى « شقيت » من مقابلته لقوله « هديت » .

واستكثر ابن رواحة على نفسه أن ينتظر حتى يأكل شيئاً يسيراً من اللحم الذى أعطاه إياه ابنُ عمه ، فأنبها قائلا « وأنت فى الدنيا » يريد : أيجاهد إخوانك الآن بدونك ، فيَقتلون ويُقْتَلون وأنت تنعم بالطعام . وكانت نَفْسُه أطوعَ له من بنَانه ، فألقاه من يده ، وأخذ سيفه ، وقاتل حتى قتل .

رحم الله ابن رواحة رحمة الأبرار ، وأسكنه فسيح جناته ، وأنزله منازل الشهداء ، إنه على ما يشاء قدير[1] .

---

(١) قدر للراية فى وقعة مؤتة أن تصل إلى يد سيف الله خالد بن الوليد ، الذى قرر فى النهاية أن ينسحب بالمسلمين من المعركة غير المتكافئة ، ووصل الجيش المدينة المنورة . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عن أفراده : إنهم الكُرّار إن شاء الله . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك المسلمين بالتهيؤ لغزو الروم ، وكانت غزوة تبوك فى رجب سنة تسع « فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة » (السيرة ٥٢٧/٢) وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة =

. . . .

= ابن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وأوعب (جمعوا ما استطاعوا من جمع) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون » (السيرة ٢/٦٠٦) .

« قال ابن هشام (٢/٦٤٢) : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقبل أن يتحرك الجيش توفى صلى الله عليه وسلم ، وولى الخلافة أبو بكر ، فأنفذ جيش أسامة ، وأوصاه أن يفعل ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر هنا مثلا ابن الأثير ٢/٣٣٥ .

رموز المصادر والمراجع الواردة بالديوان

ابن سعد	الطبقات الكبرى لابن سعد .
ابن عسا	تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر .
أثير	تاريخ ابن الأثير .
الأساس	أساس البلاغة للزمخشري .
الأشباه	الأشباه والنظائر للخالديَّين .
الإصابة	الإصابة لابن حَجَر .
التاج	تاج العروس للزبيدى .
الجمهرة	جمهرة اللغة لابن دُرَيد .
الحماسة	حماسة أبى تمام بشرح المرزوقى .
حم بحترى	حماسة البحترى .
الخلاصة	خلاصة الوفا للسمهودى .
الدار	دار الكتب المصرية .
الروض	الروض الأُنُف للسُّهَيْلى .
السمط	سمط اللآلى للبكرى .
السيرة	السيرة النبوية لابن هشام .
الصحاح	تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى .
الصحيح	صحيح البخارى .
الطبقات	طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
طبرى	تاريخ الطبرى .
العقد	العقد الفريد لابن عبد ربه .
ق	طبعة بولاق .
القاموس	القاموس المحيط للفيروزابادى .
الكامل	الكامل فى اللغة للمبرد .
اللسان	لسان العرب لابن منظور .
م . بكرى	معجم ما استعجم للبكرى .
م البلدان	معجم البلدان لياقوت .
ه	معناه أن ما سيتلوه منقول من هامش المصدر .
الوفا	وفاء الوفاء للسمهودى .

دِيوَانُ
عَبدالله بن رَوَاحَة الأَنصَارِي الخزرجي

(١)(*)

١ — إذَا أَدْنَيْتِنِي[٢] وَحَمَلْتِ رحلى مسيرةَ أربعٍ بَعْدَ الحساءِ
٢ — فشأنُك أَنْعُمٌ[٣] وخلاكِ ذَمٌّ ولا أَرْجِـعْ إلى أهلي ورائي

(*) السيرة ٢/٣٧٦ والطبرى ٢/١/١٦١٣ وأثير ٢/٩٧ والاكتفاء ٢/٢٧٦ (١ — ٥) والخزانة ٢/٢٦٣ (١ — ٣) و ٣/٣٤ والكامل (أوربية) ٧٦ وتحقيق زكى مبارك ١/١١٤ وخلاصة الوفاء ٢٥٣ والأشباه ١/٢٢٢ والسمط ٢١٩ (١ ، ٢) واللسان « حسا » (١) و « خلا » (٢) و « بعل » و « أتى » و « سقى » (٥) وشرح درة الغواص ٢٢٨ والصحاح « بعل » و «أتى» والجمهرة ١/٣١٤ (٥) وم البلدان « الحساء » والصحاح والتاج « حسا » (١) والتاج « بعل » و « أتى » (٥) والأضداد ٢٢٦ وابن عسا ١/٩٥ ، ٧/٣٩٣ (١ — ٣ ، ٥) و ٥/٤٣٧ (١ ، ٣ — ٥ ، ٢) والميدانى ٢/٢٣ (٢) واص ٢/٧٤٩ (١ — ٣) .

(١) فى طريقه إلى غزوة مؤتة .

(٢) أدنيتنى : أوصلتنى ، والخطاب للناقة . والرحل : مركب للبعير والناقة ، وجمعه أرحل ورحال . وجاء فى الكامل « الحساء ، جمع حسى ، وهو موضع رمل تحته صلابة ، فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يغيض ، ومنع الرمل السمائم أن تنشفه ، فإذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء . يقال : حسى وأحساء وحساء » وجاء فى ابن عسا « مجمع مشق » ١/٣٨٩ « ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة قرية فوق أحساء » . الخزانة جـ٣ والمبرد والبكرى وياقوت وابن الأنبارى والصحاح والتاج واللسان « حسا » « إذا بلغتنى » والخالديان وابن عسا جـ ١ « إذا بلغتنى . . . . مسافة أربع » و حـ ٥ و حـ ٧ و ا ص والاكتفاء « إذا أدنيتنى » .

(٣) قاموس : «النعيم والنعمى بالضم : الخفض والدعة والمال كالنعمة بالكسر ؛ وجمعها نعم وأنعم . . . . والنعمة بالكسر المسرة واليد البيضاء الصالحة كالنعمى بالضم والنعماء بالفتح ممدودة ج أنعم ونعم ونعمات بكسرتين وتفتح العين » ويقال =

٣ — وجاء المسلمون وغادرونى بأرضِ الشامِ مشتهىَ الثواءِ[1]

٤ — ورَدكِ كلُّ ذى نسبٍ[2] قريبٍ إلى الرحمن منقطعَ الإخاءِ

٥ — هنالك لا أبالى طلْعَ[3] بَعْلٍ ولا نخلٍ أسافلها رِواء

= افعل كذا وخلاك ذم ، أى وخلا منك ؛ أى لا تذم ، يريد أنه لا يكلفها سفرا بعد ذلك ولا مشقة ، وإنما تنعم مطلقة ، لتصميمه على الموت فى سبيل الله . وجاء فى الكامل « وقوله : ولا أرجع إلى أهلى ورائى ، مجزوم لأنه دعاء . فقولة لا هى الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يغفر الله له . فهذا الدعاء ينجزم بما يجزم به الأمر والنهى كما تقول ، زيد ليقم وزيد لا يبرح » المبرد والخزانة والسمهودى والبكرى وأثير واللسان وابن عسا ج ٧ والاكتفاء «فشأنك فانعمى» والخالديان « فدونك فانعمى » وابن الأنبارى « فزادك أنعم » وابن عسا «فحمدك أنعم » والميدانى « فشأنك فانعمى . . . أهلى ومالى « واص » فشأنك فانعمى » وابن عسا ج ٥ « فشأنك أنعمى » .

(١) ثوى المكان وبه : أطال الإقامة به أو نزل . والخزانة « المؤمنون . . . . منتهى الثواء » وجاء فيه : « وقوله منتهى الثواء ، هو اسم فاعل منصوب على الحال . وابن الأنبارى « وعاد المسلمون . . . منقطع الثواء » وابن عسا ج ١ « وآب . . . . بأرض الروم مشتهر الثواء وج ٥ « المؤمنون . . . . مشهود » و ج ٧ « آب . . . . مشتهر » وأثير « مشهور الثواء » واص « المؤمنون وخلفونى . . . . مشهور » .

(٢) الاكتفاء « كل ذى رحم . . . منقطع الرجاء » وأثير « من الرحمن »

(٣) الطلع من النخل : شىء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته فى أول ظهورها « والبعل : النخل الذى يشرب بعروقه فيستغنى عن السقى ، يقال : قد استبعل النخل ؛ قال أبو عمرو : البعل والعذى واحد ؛ وهو ما سقته السماء ، وقال الأصمعى : العذى : ماسقته السماء والبعل ما شرب بعروقه من غير سقى ولا سماء ، الصحاح ، رواية الصحاح « أتى » =

(*)(١)

١ — لَعَمْرِي لقدْ حَكَّتْ رحى الحَرْبِ بعد ما
أطارتْ لُؤَيًّا قبلُ شرْقًا ومغربا

٢ — بقيةَ آل الكاهِنَين(٢) وعزَّها
فعاد ذليلا بعد ما كان أغْلَبا

٣ — فطاح(٣) سلامٌ وابنُ سعْية عَنْوةً
وقِيد ذليلاً للمنــــايا ابنُ أخطبا

٤ — وأَجْلَبَ(٤) يبغي العِزَّ والذُّلَّ يبتغي
خلاف يديه ما جنَى حين أجلبا

= نخل بعل ولا سقى وإن عظم الأتاء » وهي رواية اللسان والتاج « بعل » والأتاء : البركة والنماء وحمل النخل ، واللسان « سقى » وابن الأنبارى والصحاح « بعل » وابن دريد والخفاجى « نخل سقى ولا بعل وإن عظم الأتاء » وابن عسا جـ ١ « طلع فحل » و جـ ٧ « طلع نخل ولا بعل » :

(*) السيرة ٢/٢٠٢ . فأجابه (يعنى عباس بن مرداس) كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة ، فيما قال ابن هشام .

(١) يرد على العباس الذى امتدح رجال بنى النضير ، وهذه المقطوعة تسجل إجلاء بنى النضير ، وما حل ببعض الشخصيات منهم .

(٢) الكاهنان ، قريظة والنضير ، يقال إنهم بنو الكاهن ابن هارون النبى عليه السلام . والأغلب الشديد .

(٣) طاح : ذهب وهلك . وسلام ، هو ابن مشكم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم . انظر السيرة ٢/٤٤ وابن أخطب ، هو حيى .

(٤) أجلب ، جمع وصاح معاً .

١ — كتاركُ سهل الأرض والحَزْنُ همُّه
وقد كان ذا فى الناس أكْدَى وأصعبا

٢ — وشأسٌ(١) وعَزّالٌ وقد صَلَيا بها
وما غَيِّبا عن ذاك فيمن تَغَيَّبا

٣ — وعوفُ بنُ سَلْمَى وابنُ عَوْفٍ كلاهما
وكعبٌ(٢) رئيسُ القوم حان وخُيِّبا

٤ — فبُعْدًا وسُحْقًا للنضير ومثلها
إنَ اعقَبَ فَتْحٌ أو إنِ اللهُ أَعْقَبا(٣)

(*) (٤)

٥ — يا قَيْسُ أنتم شِرارُ قومِكُمُ
قِدْمًا ، وأنتم أغثُّهم(٥) نَسَبا

٦ — حالفتمُ الفُحْشَ(٦) والخيانةَ والْ بُخْلَ جميعًا واللؤمَ والكذبا

(١) شأس ، هو ابن قيس ، أحد بنى النضير وكذلك عزال .

(٢) يريد كعب بن الأشرف .

(٣) إن الله أعقبا : أى إن الله جاء بالنصر عليهم .

(*) ديوان قيس بن الحطيم ١١١ والطبعة الثانية ١٦٩ .

(٤) ينقض قصيدة لابن الحطيم مطلعها :

ردَّ الخليطُ الجمالَ فانقضبا وقطّعوا من وِصالِك السَّببا

ديوان ابن الحطيم ١٦٩ .

الخليط : المجاور لهم فى الدار ، وانقضب : انقطع منا . والسبب : الحبل .

(٥) الغث : المهزل الفاسد .

(٦) الفحش : عدوان الجواب ، ومنه : لاتكونى فاحشة ، لعائشة رضى الله عنها
والخيانة أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح . واللؤم ، بالضم : ضد الكرم .

١ — يا قيسُ إنَّ الأسلابَ[١] أحرزها
من كان يَغشى الذوائبَ القُضُبا

٢ — وأنْتَ في الدار غيرُ مُحتَضِرٍ[٢]
حَرْبًا ، وتدعو قتالنا لَعِبا

٣ — لو كُنْتَ فيهم والحربُ لا قِحةٌ[٣]
لكُنْتَ فيهم مغلَّبا ذَنَبا

٤ — نحن انْتَبَحْنا ما في ديارِكُمُ
يَوْمَ صَبَحْنا كُمُ بِها عُصَبا

(*)[٤]

٥ — أشاقتك ليلى[٥] في الخليطِ المجانبِ
نعمْ فرَشاشُ الدَّمْعِ في الصَّدْرِ غالبِ

---

(١) الأسلاب ، جمع سلب ، بالتحريك وهو مايسلب . يغشى الذوائب القضب : يجعل السيوف القواطع لأعالي الرءوس بمنزلة الأغطية لها .

(٢) محتضر : حاضر . يقال : حضر واحتضر ، ضد غاب . وجاء بعد البيت « لم يكن قيس بن الخطيم حضر يوم بعاث » .

(٣) والحرب لاقحة : أى مشتعلة ومتأججة ، مأخوذ من قولهم أساساً : لقحت الناقة ، كسمع ، بمعنى قبلت اللقاح ، بالفتح ، فهى لاقح . والمغلبُ : المغلوب مراراً .

(*) ديوان ابن الخطيم ١٣٥ والطبعة الثانية ١٩٩ (١ — ١٥) وأثير ١/٢٨٨ وأوربية ١/٥١٣ (١ — ٣ ، ٨ — ١٣) والأشباه ١/٢٨ (٧ — ١٠) .

(٤) يجيب ابن الخطيم ، على قصيدته التى مطلعها :

أتعرفُ رسْمًا كاطِّرادِ المذاهبِ لِعمرةَ وَحْشًا غيرَ موقف راكبِ

ديوان ابن الخطيم ٧٦ .

(٥) أثير : « وليلى التى شبب بها ابن رواحة هى أخت قيس بن الخطيم ،

١ – بَكَى إِثْرَ مَنْ شَطَّتْ نَوَاه(١) ولم يَقِفْ
لِحاجةِ محزونٍ شكا الحبَّ ناصبِ

٢ – لَدُنْ(٢) غُدْوَةً حتى إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ
وراح له من همه كلُّ عازبِ

٣ – تَبَيَّنْ فإنَّ الحبَّ يَمْلُقُ مُدْبِرًا
قديمًا إذا ما خُلَّةٌ(٣) لم تُصاقِبِ

٤ – كَسَوْتُ قُتودى(٤) عِرْمِسًا فنَصَأْتُها
تخُبُّ على مُسْتَهلِكاتٍ لواحبِ

٥ – تُبارى(٥) مطايا تتّقى بعيونها مخافةَ وَقْعِ السَّوطِ خُوصَ الحواجبِ

= وعمرة التى شبب بها ابن الخطيم هى أخت عبد الله بن رواحة ، وهى أم النعمان ابن بشير الأنصارى » والخليط : المخالط ، والقوم الذين أمرهم واحد . ويقال : جانبه مجانبة وجنابا : صار إلى جنبه وباعده ، ضد . والأخير هو المراد هنا . ورشاش الدمع : ماسال منه وتفرق .

(١) النوى : الدار والتحول من مكان إلى آخر . وناصب : معي ومتعب . أثير: « ولم يقم » .

(٢) لدن : ظرف زمان ، وتأتى ظرف مكان أيضاً . ويقال : عارضه فى المسير ، إذا سار حياله . وراح من الرواح ، بمعنى العشى ، أو من الزوال إلى الليل ، ويقابله الصباح . وعازب الأموال هى الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، بمعنى تبعد . والمراد هنا همومه التى تنصب دفعة واحدة . أثير « أراحت له من لبه » .

(٣) الخلة بالضم : الخليلة : وتصاقب : تقارب وتواجه ، ومنه جار مصاقب .

(٤) القتود : الرحل أو خشبه . والعرمس: الناقة الصلبة . ونصأ الدابة : زجرها أو رفعها . والمستهلك : الطريق الذى يجهد من سلكه . واللاحب : الطريق الواسع المنقاد الذى لاينقطع .

(٥) تبارى : تعارض . والخوص : بالتحريك : غئور العين . والمراد بالحواجب الأعين .

١ — إذا غيَّرتْ أحسابُ قومٍ وَجَدْتَنا
ذوِى نائلٍ فيهـا كرامَ المضـاربِ[1]

٢ — نُحابِى على أحسابِنا بتِلادنا
لمُفْتَقِرٍ أو سائلِ الحقِّ راغبِ[2]

٣ — وأعمى هَدَتْهُ للسبيلِ حلومُنا
وخصمٍ أقَمْنا بعد ما لَجَّ ، شاغبِ[3]

٤ — ومُعْتَرِكٍ ضنكٍ ترى المَوْتَ وَسْطَه
مَشَيْنَا له مَشْىَ الجمالِ المصاعبِ

٥ — بخُرْسٍ ترى المـاذىَّ[4] فوق جلودهم
وبِيَضًا نِقاءً مِثْلَ لونِ الكواكبِ

٦ — فهم جُسُرٌ[5] تحت الدُّروع كأنَّهم
أسود متى تُنْضَ السيوفُ تضاربِ

---

(١) بعده فى ديوان قيس : « ويروى الضرائب » والأشباه « وجدتنا إلى مشعر فيها » وفيه « قوله : إذا غيرت .. .. ، أى أن يشحوا بعد الجود لما صاروا إليه من الشدة والجهد .. .. »

(٢) أثير « واجب » .

(٣) الشغب ، بالسكون ، ويحرك : تهييج الشر . أثير : « بعدما لج ثاعب » والأوربية « بعدما لج شاغب» .

(٤) الماذى : الدروع السهلة اللينة أو البيضاء . أثير « برجل ترى .. .. .. وبيضاً نقياً » .

(٥) الجسر ، بالضم وبضمتين ، جمع جسور . تنض السيوف : تسل . أثير « وهم حسر . لاقى الدروع تخالهم أسوداً متى تنشا الرماح تضارب » .

١ — معاقلهم[١] فى كلِّ يَوْمِ كريهةٍ
مع الصبرِ منسوبُ السيوف القواضب

٢ — فَخرتُمْ بجمعٍ زاركم فى دياركم
تَفَلْفَلَ حتّى دُوفعوا بالرّواجب[٢]

٣ — أباح حُصونًا ثم صعّد ، يبتغى
مِظَلَّةَ حَيٍّ فى قريظةَ هـــارب

(*)[٣]

٤ — رَفَيْنَاكَ أيّامَ الفِجارِ فلم تزَلْ
حَمِيًّا فَمَنْ يَشْرَبْ فلَسْتَ بشاربِ

---

(١) المعاقل ، جمع معقل ، وهو الحصن : أثير « مع الصدق » ..

(٢) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع التى تلى الأنامل ، وقيل هى بواطن مفاصل أصول الأصابع ، واحدتها راجبة .

(*) أثير ١/٢٨٥ وبيروت ١/٦٧٦ .

(٣) يخاطب قيس بن الخطيم ، وأعتقد أن هذا البيت من نقيضة منها أيضاً الأبيات السابقة مباشرة. وقد جاء فى أثير أثناء حديثه عن يوم الفجار الأول للأنصار « فكان قيس بن الخطيم فى حائط له فانصرف ، فوافق قومه قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه إلا السيف : ثم خرج معهم ، فعظم مقامه يومئذ ، وأبلى بلاء حسناً ، وجرح جراحة شديدة : فمكث حيناً يتداوى منها ، وأمر أن يحتمى عن الماء » فلذلك يقول عبد الله بن رواحة البيت .

(*) (١)

١ — يا نفسُ إلاّ (٢) تُقتَلى تموتى
٢ — هــذا حِمامُ (٣) الموتِ قد صليتِ
٣ — وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ
٤ — إن تَفعَلى فِعلَهُما هُديت (٤)
٥ — إن تَسْـأمى اليوم فلن تفوتى (٥)
٦ — أو تُبْتَلَىْ (٦) فطالما عُوفيت
٧ — وإنْ تأخَّرْت فقد شَقِيت
٨ — هل أنت إلاّ إصْبَعٌ دَمِيت
٩ — وفى سبيل الله ما لَقِيت ؟

(*) السيرة ٢/ ٣٧٩ ، وأثير ٢/٩٨ والطبرى ٢/١/١٦١٥ والاستيعاب ؛ والاكتفاء ٢/٢٨٠ (١ — ٤) وحم بحترى ص ٢ (١ ، ٥ ، ٦ ، ٢ ، ٣) واللسان « حمم » (٢) و « صبع » والروض ٢/٢٣٥ (٨ ، ٩) وجاء فى الأخير « وقال (صلى الله عليه وسلم) إما متمثلا وإما منشئا » . والجمهرة ٢/٣٠٣ (٨،٩) وابن عسا ٧/٣٩١ (٨ ، ٩ ، ١ — ٤) وفى السيرة ١/٤٧٦ ينسب (٨ ، ٩) للوليد بن الوليد بن المغيرة .

(١) فى مؤتة .

(٢) أثير وبحترى وابن عبد البر « إن لم » .

(٣) الحمام ، ككتاب : قضاء الموت وقدره وصليت : قاسيت حرها . وبحترى « هذى حياض » .

(٤) يريد صاحبيه زيدا وجعفرا .

(٥) لن تفوتى : لن تذهبى وتبعدى .

(٦) قاموس: « والتكليف بلاء ، لأنه شاق على البدن أو لأنه اختبار. والبلاء يكون منحة ويكون محنة » والعافية : دفاع الله عن العبد . وعوفيت : وهب الله لك العافية من العلل والبلاء .

(*) (١)

١ — لكنَّنى أسألُ الرَّحمنَ مَغْفِرَةً
وضربةً ذات فَرْغٍ(٢) تقْذِفُ الزَّبدا

٢ — أو طعنةً بيَدَىْ حرّانَ(٣) مجهزةً
بحربةٍ تُنفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

٣ — حتّى يُقَالَ إذا مَرُّوا على جَدَثى(٤)
أرشده الله من غازٍ وقد رَشَدا

(*) السيرة ٢/٣٧٤ وطبرى ٢/١/١٦١١ وأثير ٢/٩٧ وابن عسا ١/٩٢ والاستيعاب ، والاكتفاء ٢ / ٢٧٥ (١ — ٣) وابن سعد ، طبعة بيروت ٢/١٢٨ (١) .

(١) قبيل مغادرته إلى مؤتة ، حين قال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم صالحين .

(٢) إذا تأملنا هذه المادة فى المعاجم فإننا ننتهى إلى أن المراد من قول ابن رواحة « وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا » ضربة ذات جرح واسع يتدفق دمه وتطفو رغوته .

(٣) حران : عطشان ، والأنثى حرى . ومجهزة : سريعة القتل متممته ، والنفاذ : جواز الشىء عن الشىء والخلوص منه كالنفوذ ، ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه ، والحشى : مادون الحجاب مما فى البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ، أو ما بين ضلع الخلف التى فى آخر الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن أو الحصر ، والجمع أحشاء . ابن عسا « وقال البيهقى : حمران . بدل : حران » .

(٤) الجدث ؛ محركة : القبر ، والجمع أجدث ، بضم الدال وأجداث . وأرشده الله :هداه إلى الرشد ،بمعنى الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. طبرى « حتى يقولوا ... أرشدك » وأثير والاستيعاب « يقولوا ... يا أرشد الله» وابن عسا « يقولوا وقد مروا ... يا أرشد الله » والاكتفاء « ما أرشد الله » .

(*)[1]

١ — تَذَكَّر بعد ما شطَّت[2] نَجودا   وكانَتْ تَيَّمَتْ قلبي وليدا
٢ — كذى داء يُرَى في النّاسِ يَمْشِي   ويَكْتُمُ داءَهُ زَمَنًا عميدا[3]
٣ — تَصَيَّدُ غِرَّةَ[4] الفتيانِ حتى   تَصيدَهم ، وتَشْنَأُ أن تَصيدا
٤ — فقد صادَتْ فؤادك يوم أبدت   أسيلاً[5] خدُّه صَلْتًا وجيدا
٥ — تَزِينُ معاقدُ[6] اللَّبَّاتِ منها   شُنوفًا في القلائد والفريدا

(*) مخطوط جمهرة أشعار العرب ، مكتبة الحرم المكي ، ومخطوطة بالمتحف البريطاني ، والمطبوع ص ١٢٢ وفي ديوان قيس بن الخطيم ، (الطبعة الثانية ١٤٥ (١) .

(١) ينقض قصيدة قيس بن الخطيم التي مطلعها :

صرمت اليوم حبلك من كلودا   لتبدل حبلها حبلا جديدا

الديوان (الطبعة الثانية) ص ١٤٥ .

(٢) شط : بعد . والنجود : المرأة العاقلة والنبيلة . وتيمت قلبه : عبدته وذللته . رواية ديوان قيس « شحطت » .

(٣) العميد : من هده العشق .

(٤) الغرة : الغفلة . وتشنأ : تبغض . يريد أنها ، بجمالها ، تملك على الفتيان ألبابهم وتأسر بسحرها قلوبهم ، دون نية منها أو قصد . مخطوط المتحف والمطبوع «عورة » والعورة : الخلل من كل شيء .

(٥) الأسيل من الخدود : الطويل المسترسل . والصلت : الجبين الأبيض . يريد : لقد صادت فؤادك دون قصد منها ، يوم أبدت وجها أسيل الخد ، وجبيناً واضحاً ، وجيداً حسناً .

(٦) المعاقد ، جمع المعقد ، وهو موضع الانعقاد . يقال : هو مني معقد الإزار ، أي قريب المنزلة . واللبات ، جمع اللبة ، وهي وسط الصدر والمنحر ، وكأنهم جعلوا كل جزء منها لبة ، ثم جمعوا على هذا . والشنوف ، بالضم ، جمع الشنف ، بالفتح ، وهو مايلبس من الحلي في أعلى الأذن . والذي يلبس في أسفلها القرط . والقلائد ، جمع القلادة ، وهي ماجعل في العنق من الحلي . والفريد ، جمع فريدة ، وهي الشذرة من الفضة تفصل بين اللؤلؤ والذهب ، والجوهرة النفيسة كالفريدة ، =

١ — فإن تَضْنُنْ عليك بما لديها ... ويُصْبِح حبلُ نائلها[1] جديدا
٢ — لعمرُك ما يوافقنى خليلٌ ... إذا ما كان ذا خُلْفٍ كنودا[2]
٣ — وقد علم القبائل غَيْرَ فَخْرٍ ... إذا لم تُلْفَ مائلةً[3] رَكُودا
٤ — بأنّا تُخرج الشَّتوات[4] مِنّا ... إذا ما استحكمت حَسَبًا وجودا
٥ — قدوراً تَفْرَق الأوصالُ فيها ... خضيبا لونُها بيضًا وسودا
٦ — متى ما تأتِ يثربَ أو تَرِدْها[5] ... تَجِدْنا نحن أكرمَها جدودا
٧ — وأغلَظَها على الأعداء رُكْنًا ... وأليَنَها لباغى الخير عودا
٨ — وأخْطَبَها إذا اجتمعوا لأمرٍ ... وأقْصَدَها[6] وأوفاها عهودا
٩ — إذا نُدْعَى لثأرٍ[7] أو لجارٍ ... فنحن الأكثرون بها عديدا

= والدر إذا نظم وفصل بغيره . يريد أن مواضع الانعقاد من وسط صدرها ومنحرها ، لحسنها وجمالها ، والتى فيها القلائد ، أضفت جمالا إلى جمال الحلى فى أعلى أذنيها والدر الذى نظم وفصل بغيره فى جيدها .

(١) النائل والنيل : مانلته . والجديد : المقطوع . مخطوطة المتحف والمطبوع : « وتقلب وصل نائلها » .

(٢) الكنود ، بالفتح : البخيل ، والمرأة الكفور للمودة . مخطوطة مكتبة الحرم « خليلى » .

(٣) مائلة : ظاهرة واضحة ينظر إليها . وجفنة ركود : ثقيلة مملوءة .

(٤) الشتوات : جمع شتوة ، بمعنى الشتاء . وفى الشتاء تكثر المجاعات . والعرب تسمى القحط شتاء .

(٥) مخطوط المتحف « تَزرها » .

(٦) أقصدها : أكثرها عدلا . من القصد بمعنى العدل . مخطوط الحرم « وأخبطها » تحريف .

(٧) مخطوط للمتحف « لِسبْت » . والسَّبت : ضرب العنق . مخطوط الحرم « إذا يُدْعى لسيب » .

١ — متى ما تَدْعُ فى جُشَمِ[1] بنِ عوفٍ
تَجِدْنى لا أغَمَّ ولا حَيُودا

٢ — وحَوْلِي جَمْعُ ساعدةَ بنِ كعبٍ[2]
وتيمُ اللاتِ قد لَبِسُوا الحديدا

٣ — زعَمْتُمْ أنما نِلْتُمْ ملوكًا ونزعم أنما نِلْنا عبيدا

٤ — وما نبْغى من الأخْلافِ وِتْرًا وقد نِلْنا المُسَوَّدَ والمَسُودا

٥ — وكان نساؤكُمْ فى كُلِّ دَارٍ يُخَدِّشْنَ[3] المعاصِمَ والخدودا

٦ — تركنا جحجبي كبناتِ فَقْعٍ[4] وعَوفًا فى مجالسها قعودا

---

(١) هو جشم بن مالك بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج . والأعم، بالعين غير المعجمة : الغليظ . وحيود : مائل ومنحرف . مخطوط المتحف « ولا وحيدا » والمطبوع « لا أغم ولا وحيدا » والأغم ، بالغين المعجمة ، من الغَمم محركة ، وهو سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة . يقال : هو أغم الوجه والقفا . وهم يحبون النَّزَع ، بالتحريك ، وهو انحسار الشعر من جانبي الجبهة ، ويكرهون الغَمم . وتقول المرأة : إذا كان الفقر والنزع قل الجزع ، وإذا اجتمع الفقر والغمم تضاعفت الغمم ، جمع غمة بالضم ، بمعنى الحزن والكرب . ومن المجاز : سحاب أغم : لا فرجة فيه . عن التاج .

(٢) جاء فى جم حزم ٣٦٥ « ولد كعب بن الخزرج ساعدة » رواية ما عدا مخطوط الحرم « ساعدة بن عمرو » وقد جاء « ساعدة بن كعب » فى قصيدة ابن الخطيم البيت رقم (١٠) مخطوط الحرم « وتيم الله » . وجاء فى جم حزم ص ٣٤٦ أن تيم الله بن ثعلبة بن عمرو من الخزرج .

(٣) يخدشن : يخمشن ويمزقن . مخطوط الحرام « وكن نساؤكم » ومخطوط المتحف والمطبوع « يهرشن » تحريف .

(٤) الفقع ، بالفتح ويكسر : ضرب من الكمأة ، أو هى البيضاء الرخوة =

١ — ورهطَ أبى أُميَّة قد أَبحْنا وأَوْسَ اللهْ(١) أَتبَعْنــا ثمودا

٢ — وكنتم تدّعون يهودَ مالًا ألآنَ وَجَدْتُمُ فيهـا يهودا ؟

٣ — وقَدْ رَدُّوا الفنائم فى طَريفٍ(٢) ونَحّامٍ ورهطِ أبى يزيدا

(*)(٣)

٤ — رحم الله نافع بن بُدَيْـلٍ رحمة المُبْتَغِى(٤) ثوابَ الجهادِ

= من الكمأة ، وهو أردؤها . و « عوفا » رواية الجمهرة بتحقيق البجاوى (الطبعة الأولى) ومخطوط الحرم « كبنات نقع وقوفا » والنقع ، بالنون : الأرض الحرّة الطين يستنقع فيها الماء ، والقاع . مخطوط المتحف ، والمطبوع « وغوغا » تحريف . وجحجبى هو ابن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف .

(١) جاء فى السيرة ١/٤٣٧ أن أوس الله بن الأوس بن حارثة ، وتتكون أوس الله من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف . مخطوط الحرم: « وتيم الله » .

(٢) هم بنو طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . مخطوط الحرم :

« الفرائم » تحريف . والعزمة : الجد فى الأمر والقوة . ويقال : اشتدت العزائم ، أى عزمات الأمراء فى الغزو إلى الأقطار البعيدة وأخذهم بها . انظر التاج . وجاء فى مخطوط الحرم بعد البيت: « النحام : شديد الصوت . وقيل : البخيل : إذا سئل كثر سعاله كما قال طرفة :

أرى قبر نحّـام بخيلٍ بماله كقبر غَوِىٍّ فى البطالة مفسد »

(*) السيرة ٢ / ١٨٨ والمغازى ٢٧٥ و ا ص ٣ / ١١١٩ والبيتان مع ثالث فى ديوان حسان ص ٩٠ .

(٣) يرثى نافع بن بُديل الذى قتل يوم بئر معونة .

(٤) ديوان حسان « المشتهى » .

١ – صابرٌ (١) صادقٌ وفيٌّ إذا ما   أكثرَ القومُ قال قول السَّدادِ
(**)(٢)

٢ – نخبرونِيَ أثمــانَ العبــاءِ (٣) متى
كنتم بطاريقَ أو دَانَتْ لكم مُضَرُ

٣ – نُجالِدُ النــاسَ عن عُرْضٍ (٤) فنأسِرَهم
فينــا النبيُّ وفينــا تَنزِلُ السُّورُ

٤ – وقد عَلِمْتُمْ بأنّا ليس غالِبَنــا (٥)
حيٌّ من النّــاس إن عَزُّوا وإن كثُروا

---

(١) الواقدى « صارم صادق اللقاء . . . أكثر الناس » وديوان حسان واص « صابراً صادق الحديث » .

(**) الطبقات ١٨٨ (١ — ٧) والسيرة ٢/٣٧٤ وابن عسا ١/٩٢ (٧ ، ٥ ، ٨) والعقد ٥/٢٧٨ (٧) وابن سعد ٣/٢/٨١ (١ ، ٤ – ٧) واص ٢/٧٥٠ وابن عسا ٤/ ١٢٨ (٧) و ٧ / ٣٩٠ (٥ ، ٧ ، ٤ ، ٦ ، ١ – ٣) والاستيعاب فى ترجمته (٥ ، ٨ ، ٧) ثم (٥ ، ٨) والاكتفاء ٢/٢٧٦ (٨ ، ٧ ، ٥) .

(٢) يهجو بنى عمرو بن مخزوم وغيرهم من قريش .

(٣) العباء : كساء معروف كالعباءة . والبطريق : القائد الحاذق بالحرب وأمورها . ودان هنا بمعنى أطاع . ومضر هو ابن نزار كز فر، أبو قبيلة . وهو مضر الحمراء. وسمى بمضر لولعه بشرب اللبن الماضر أى الحامض، أو لبياض لونه وبالحمراء لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه وربيعة أعطى الخيل. أو لأن شعارهم كان فى الحرب الرايات الحمر . ابن سعد : « خبرونى » .

(٤) يضربون عن عرض أى من شق وناحية لا يبالون من ضربوا .

(٥) ابن عسا « يغلبنا » .

١ — يا هاشم الخير إنّ اللهَ فضّلكمْ
على البريّةِ فضلاً ما لهُ غِيَرُ[١]

٢ — إنّى تفرّستُ فيك الخيرَ أعرفُه
فراسةً خالفتْهُمْ فى الذى نظروا[٢]

٣ — ولو سألتَ أو استنصرتَ بعضَهُمُ
فى جُلِّ أمرِك ما آوَوْا وما نصروا

٤ — فثبّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ
تثبيتَ[٣] موسى ، ونصراً كالذى نصروا

٥ — أنتَ الرّسولُ فمن يُحْرَمْ نوافِلَهُ[٤]
والوجهَ منه فقد أزرى به القدرُ

---

(١) الغير : التغيير والتغير . وابن عسا ج ٧ « يا آل هاشم » .

(٢) قال ابن هشام « يعنى المشركين ، وهذه الأبيات فى قصيدة له » . ابن هشام « نافلة . الله يعلم أنى ثابت البصر » وفى موضع آخر والاكتفاء ورواية الاستيعاب الثانية « نافلة فراسة خالفت فيك الذى نظروا » وابن عسا ج١ « نافلة والله يعلم أنى ثابت البصر » . وج٧ بزيادة « إنى توسمت فيك الخير » والاستيعاب « والله يعلم أن ماخاننى البصر »

(٣) ابن هشام والاكتفاء « فى المرسلين ونصرا كالذى نصروا » « والعقد : تثبيت عيسى بإذن الله والقدر » وابن عسا ج ١ « وثبت الله » وج ٤ « ثبت الله ما أعطاك . . . . . . مثلما نصروا » .

(٤) النافلة : الغنيمة والعطية وما تفعله مما لم يجب ، كالنفل . ويقال : أزرى بأخيه إذا أدخل عليه عيبا أو أمرا يريد أن يلبس عليه به ، وبالأمر تهاون . الاستيعاب : « أنت النبى ومن يحرم شفاعته يوم الحساب لقد » والرواية الثانية فيه « أنت النبى ومن.... والوجه منك » والاكتفاء : « نوائله » .

(*)

١ — يا رسولَ المليكِ إنّ لسانى راتقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنَا بُورُ

(**)

٢ — فلم أَرَ كالإسلام عِزًّا لأهله
ولا مثلَ أضيافِ الأراشِىِّ(١) مَعْشَرَا

(* * *)

٣ — لو لم تكن فيه آيات مبيِّنةٌ كانَتْ بداهتُهُ(٢) تُنْبِيك بالخبرِ

(*) التاج «بور» «وأنشدنا الإمام ابن المسناوى رضى الله عنه لبعض الصحابة وأخاله عبد الله بن رواحة . . . . ونسبه الجوهرى لعبد الله بن الزبعرى السهمى» والبيت لايتمشى كلية مع موقف ابن رواحة من الإسلام وإيمانه المعروفين حتى استشهاده . وهو فى السيرة ٢ / ٤١٩ مع أبيات لابن الزبعرى . وهذا هو الصحيح .

(**) الروض ١ / ٢٦٨

(١) أضياف الأراشى : النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر . وجاء فى الروض عن الأراشى « مالك بن التيهان ، واسم التيهان أيضا مالك بن عتيك ابن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى حليف بنى عبد الأشهل . كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدرا واختلف فى وقت وفاته فأصح ماقيل فيه إنه شهد مع على صفين وقتل فيها رحمه الله « وجعله ابن رواحة هنا أراشيا والأراشى منسوب إلى أراشة فى خزاعة أو إلى أراش بن لحيان بن الغوث فالله أعلم أهو أنصارى بالحلف أم بالنسب المذكور قبل هذا . . . . وقد قيل إنه بلوى » الروض .

(* * *) البيان ١ / ١٥ والروض ١ / ١٨٧ وفى الفاضل ١٠ لحسان ، وليس فى ديوان حسان . واص ٢ / ٤٥١ له .

(٢) اص « بديهته » .

(*)[1]

١ — كذبتَ لقد أقمْتَ بها ذليلاً تقيم على الهوانِ بها وتَشْرى

(* *)

٢ — وفينا[1] رسولَ الله يتلو كتابَه
إذا انشَقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
٣ — أرانا الهُدى بعد العَمَى فقلوبُنا
بهِ موقِنــــاتٌ أنَّ ما قال واقع
٤ — يَبيتُ يُجــافى جنبه عن فِراشه
إذا استثقلت بالمُشْرِكين المضــاجع
٥ — وأعلم عِلْماً ليس بالظنّ أننى إلى الله محشورٌ هناك وراجــع

* * *

٦ — فسِرْنا إليهم كافةً[2] فى رِحالِهِمْ
جميعـاً علينـــــا البَيْضُ لا نتَخَشَّعُ

(*) ديوان ابن الخطيم ١٢٤ والطبعة الثانية ١٨٧ .

(١) يرد على ابن الخطيم الذى نظم قصيدة جاءت فى ديوانه ص١٨١ بشأن انهزام الأوس أمام الخزرج فى يوم معبس ومضرس مطلعها :

ألم خيال ليــلى أمَّ عمرو ولم يُلمِمْ بنا إلا لأمر

(**) ابن عسا ٧ / ٣٩٢ (١ — ٤) والصحيح ٢/٤٦ ، ٧/١٠٢ (١ — ٣) .

(٢) الصحيح ج ٧ « فينا » .

(* * *)اللسان والتاج والصحاح « كفف » وهو من قصيدة لـكعب بن مالك فى السيرة ٢/١٣٢ .

(٣) خفف كافة ضرورة . السيرة « جهرة فى رحالهم ضحيا » .

(*)

١ - شَهِدْتُ(١) ولم أَكْذِبْ بأن مُحَمَّدًا
رسولُ الذى فوق السماوات من عَلُ

٢ — وأَنَّ التى بالجِزْعِ(٢) من بَطْنِ نَخْلَةٍ
ومن دانها ، فِلٌّ من الخيرِ مَعْزِلُ

٣ — وأن أبا يَحْيَي ويحيى كليهما له عَمَــلٌ فى دينِه مُتَقَبَّلُ

(**)

٤ — لمـا رأيت بنى عَوْفٍ وإخوتَهُمْ
كَعْبًا وجمعَ بنى النجــار قد حَفَلوا

٥ — قِدْمًا أباحوا حمــاكم بالسُّيوفِ ولم
يَفْعَلْ بِكُمْ أَحَدٌ مِثْلَ الذى فَعلوا

(*) اللسان « فلل » (١ ، ٢) وابن عسا ٧/٣٩٣ (١ ، ٣) وزاد « وهذان البيتان يرويان لحسان بن ثابت أيضاً » وفى ديوان حسان ص ١٨٦ مقطوعة من خمسة أبيات فيها الأبيات الثلاثة .

(١) ابن عسا وديوان حسان « شهدت بإذن الله أن محمدا » .

(٢) التى بالجزع . . . هى العُزَّى ، شجرة كانت تعبد . ونخلة على لفظ واحدة النخل : موضع على ليلة من مكة ، وهى التى ينسب إليها بطن نخلة . انظر م البكرى و م البلدان . دانها : اتخذها له ديناً . وفل من الخير : خال من الخير . ويروى ومن دونها ، أى الصنم المنصوب حول العزى . اللسان .

(**) أثير ١/٢٨٤ .

(٣) يرد على عبيد بن ناقد الأوسى الذى نظم قصيدة وصلنا منها تسعة أبيات ، وذلك فى يوم البقيع الذى انتصر فيه الأوس على الخزرج بعد قتال مرير . أولها :

لما رأيت بنى عوف وجمعهم جاءوا وجمع بنى النجار قد حفلوا

انظر أثير (١/٢٨٤ وليدن ١/٥٠٥ وبيروت ١/٦٧٤) .

(*)

١ — بَكَتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغْنِي البُكاءُ ولا العويلُ
٢ — على أَسَدِ الإلهِ غداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكم الرَّجُلُ القتيلُ ؟
٣ — أُصيبَ المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أُصيبَ به الرسول
٤ — أبا يَعلى(١) لك الأركان هُدَّتْ ... وأنت الماجد البَرُّ الوَصول
٥ — عليك سلامُ ربك فى جنان ... مُخالِطها نعيم لا يزول
٦ — ألا يا هاشمَ الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حَسَنٌ جميل
٧ — رسول الله مصطبِرٌ كريم ... بأمر الله ينطق إذ يقول
٨ — ألا من مُبْلِغٌ عنى لؤيًّا ... فبعد اليوم دائلةٌ(٢) تدول
٩ — وقبل اليوم ما عرَفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يُشْفَى الغليل
١٠ — نَسِيتم ضَرْبنا بقليب بدْرٍ ... غداةَ أتاكُمُ الموتُ العجيل

(*) السيرة ٢ / ١٦٢ (١ — ١٦) « قال ابن إسحاق : وقال عبد الله ابن رواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب . قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك » . واللسان « بكى » (١ — ٥) « قال حسان بن ثابت ، وزعم ابن إسحاق أنه لعبد الله بن رواحة . وأنشده أبو زيد لكعب ابن مالك فى أبيات » وبعدها « قال ابن برى : وهذه من قصيدة ذكرها النحّاس فى طبقات الشعراء ، قال : والصحيح أنها لكعب بن مالك » والروض ٢/١٦٥ وشرح أدب الكاتب ٢٦٧ (١) واص ١/٧٢٧ (١ ، ٢) والبيت (١) فى التاج « بكى » لابن رواحة والجمهرة ٣/٢١٠ والمزهر ١/٢٦٤ فى كليهما لحسان .

(١) أبو يعلى : كنية حمزة رضى الله عنه .

(٢) الدائلة : الحرب .

١١— غداة ثوى أبو جهلٍ صريعاً عليه الطيرُ حائمة[١] تجولُ

١٢— وعُتبةُ وابنُه خرَّا جميعاً وشيبةُ عَضَّه السيفُ الصقيل

١٣— وَمتْركنا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبًّا[٢] وفى حَيْزومه لدنٌ نبيل

١٤— وهامَ بنى ربيعة سائلوها ففى أسيافنا منها فلول

١٥— ألا يا هندُ فابكى لا تَمَلِّى فأنت الواله[٣] العَبْرى الهَبول

١٦— ألا يا هِنْد لا تُبْدى شِماتاً بحمزةَ إنَّ عِزَّكم ذليل

(*) [٤]

(١) يا زيدُ[٥] زيدَ اليعملات الذُّبَّل

---

(١) حائمة: مستديرة . يقال : حام الطائر حول الماء ، إذا استدار حوله . وتجول: تجيء وتذهب .

(٢) مجلعبا : ممتدا فى الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . والنبيل : العظيم .

(٣) الواله : الشديدة الحزن جدا . والعبرى: الكثيرة الدمع. والهبول: الفاقدة.

(*) اللسان والتاج «عمل» والسيرة ٢/٣٧٧ والطبرى ٢/١/١٦١٤ والخزانة ٢/٢٦٣ وابن عسا ٧ / ٣٩٣ وحياة الحيوان ٢ / ٤٨٢ وفى الكامل ٣ / ٢١٧ لعمر بن لجأ.

(٤) فى طريقه إلى مؤتة .

(٥) زيد: هو ابن أرقم. واليعملات، جمع يعملة، وهى الناقة السريعة القوية على العمل الذبل : جمع ذابل ، أى ضامرة من طول السفر . وأضاف زيداً إليها لحسن قيامه عليها ومعرفته بحدائها . وقوله: تطاول الليل عليك .... الخ ، روى: هديت بدل عليك. وهو المناسب . أى انزل عن راحلتك واحد الإبل، فإن الليل قد طال وحدث للإبل الكلال فنشطها بالحداء ، وأزل عنها الإعياء البغدادى . واستمر « وهذا البيت لعبد الله بن رواحة الصحابى رضى الله عنه، لا لبعض ولد جرير، خلافاً لشراح أبيات سيبويه. وهو (يريد الشعر) بيتان لا ثالث لهما، قالهما فى غزوة مؤتة، وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام — وكانت فى جمادى الأولى من سنة ثمان من الهجرة» وبعد أن ذكر البغدادى معتمدا على الاستيعاب بأن المراد هنا زيد بن أرقم مشيرا إلى أن هناك رأيا آخر يقول =

تطاول الليـــل عليك[1] فانزلِ

(*)[2]

١ — خَلَفَ[3] السَّلامُ على امرئٍ ودَّعتُه

في النخل خَيْرَ مشيِّعٍ وخليلِ

= إن المراد زيد بن حارثة . أضاف ص ٢٦٤ « وهذا الثانى بعيد ، فإنه يستبعد أن يقال لأمير الجيش : انزل عن راحلتك واحد الإبل ، فإن زيد بن حارثة كان أمير الجيش فى غزوة مؤتة » وجاء ص٢٦٧ « واعلم أنى رأيت فى نوادر ابن الأعرابى أرجوزة عدتها اثنان وعشرون بيتا مطلعها :

يا زيدُ زيدَ اليَعْملاتِ الذُّبَّلِ

قال : أنشدنى بكير بن عبيد الربعى . ولا أعلم من هو : أهو سابق على عبد الله بن رواحة أم لاحق له ؟ والظاهر أنه بعده . فإن الرجز فى الجاهلية كان لايتجاوز الأبيات الثلاثة والأربعة . وإنما قصده وأطاله الأغلب العجلى » . وجاء ص ٢٠٧ عن الأغلب : « وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كان الأغلب جاهليا إسلاميا ، وقتل بنهاوند ، وهو أول من أطال الرجز . وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتم » .

وقد ترجم البغدادى لزيد بن أرقم ص ٢٦٥ وزيد بن حارثة ص ٢٦٦ .

(١) ابن هشام وابن عسا وحياة الحيوان وطبرى « هديت » .

(*) للسيرة ٢ / ٣٧٤ وأثير ٢/ ٩٣ والطبرى ٢ /١ /١٦١١ والاكتفاء ٢/ ٢٧٦.

(٢) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خرج لتوديعهم فى خروجهم إلى مؤتة.

(٣) خلف السلام على امرئ : أى كان عليه خليفة . والسلام من أسماء الله تعالى.

وشيع فلانا : خرج معه ليودعه ويبلغه مأمنه . وفلانا شجعه وجرأه .

والخليل : من أصفى المودة وأصحها .

(*)

١ — خلُّوا[1] بنى الـكفّارِ عن سبيلهِ

٢ — خلُّوا فـكلُّ[2] الخير فى رسوله

٣ — يارَبِّ إنّى مؤمنٌ بقِيـلهِ

٤ — أعرف حقَّ الله فى قَبـوله

٥ — نحن قَتَلنـاكم على تأويله[3]

(*) ابن عسا ٧/٣٩١ (١، ٢، ٥، ٧، ٨، ٣) وبعدها « وفى رواية بعد الأبيات المتقدمة :

قد أنزل الرحمن فى تنزيله بأنَّ خير القتل فى سبيله »

والسيرة ٢ / ٣٧١ (١ — ٨) « قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العُمرة (عمرة القضاء) دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول (الأبيات) قال ابن هشام : نحن قتلنا كم على تأويله . إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم (يعنى يوم صفين) والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين . والمشركون لم يقروا بالتنزيل ، وإنمـا يقتل على التأويل من أقرَّ بالتنزيل » وأثير ٢/٩٤ (١ – ٨) وطبرى ٢/١/١٥٩٥ (١، ٩، ٢ – ٨) والطبقات ١٨٧ (١، ٢، ٥ – ٨) وابن سعد ٢/١/٨٨ (١، ٢، ٥، — ٨، ٣) و ٣/٢/ ٨٠ (١، ٢، ٦ – ٨) ثم (١، ٥، ٧) واللسان « أول » (٥، ٦) و « قيل » (٥، ٧) والأساس « أول » — (٥ – ٨) ووقعة صفين ٣٨٧ والمسعودى المروج ٢/٣٩١ — (٥ — ٨) ثم : أو يرجع الحق إلى سبيله : لعمار بن ياسر فى صفين . و التاج « قيل » والاكتفاء ٢/٢٧٣ (١ — ٤) .

(١) خلى عن الأمر : تركه .

(٢) ابن سلام وابن سعد قسم ١ وابن عسا « مع رسوله » وابن سعد قسم ٢ « فإنَّ كل الخير مع » .

(٣) الأستاذ محمود شاكر هامش الطبقات « ليس المراد بالتأويل فى البيت تفسير الـكلام الذى تختلف معانيه ، بل التأويل هنا هو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ، ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به ، كما فى قوله تعالى « هل ينظرون إلا تأويله يوم =

١ — كما قتلناكم[١] على تنزيله

٢ — ضرباً يزيل الهام عن مقيله[٢]

٣ - ويذهل الخليل عن خليله

٤ — إنى شهيد أنه رسوله

(*)[٣]

٥ — جلبنا[٤] الخيل من أجإٍ وفرْعٍ

تغرُّ من الحشيش لها العكوم

= يأتى تأويله » ابن سلام وابن سعد : « نحن ضربناكم » واللسان « أول » الأساس والنقرى وابن عسا والمسعودى « نحن ضربناكم على تنزيله » واللسان « قيل » « اليوم نضربكم على تنزيله » .

(١) ابن سلام « كما ضربناكم » وابن سعد قسم ١ « كما ضربناكم على تفسيره » وقسم ٢ « قد أنزل الرحمن فى تنزيله » واللسان والأساس والنقرى والمسعودى « فاليوم نضربكم على تأويله » .

(٢) مقيل الرأس : مغرزه بين الكتفين .

(*) السيرة ٢/٣٧٥ وطبرى ٢/١/١٦١٢ والاكتفاء ٢/٢٧٧ (١ — ٨) ٧/٣٩٤ و م البلدان « معان » (١ — ٧) و « قرح » (١) و « مآب » (٥) و م البكرى ١١٧٣ (١ ، ٣ ، ٥) والوفا ٢/٣٦٠ والخلاصة ٢٧٥ (١) واللسان والتاج « أوب » (٥) واللسان « عون » (٣) .

(٣) فى مؤتة .

(٤) جلبنا الخيل: زجرنا الخيل وصحنا بها من خلفها ، واستحثثناها للسبق . وأجأ ، بوزن فعل بالتحريك مهموز ومقصور أحد جبلى طيء ، والآخر سلمى ، بفتح أوله وسكون ثانيه مقصور وألفه للتأنيث . وقال ياقوت « الفرع بالفتح ثم السكون والعين مهملة ، وهو أعلى الشيء وهو المال الطائل أيضا . وذو الفرع . أطول جبل بأجأ وأوسطه وقال =

١ — حذوناها[١] من الصُّوَّان سِبْتًا أزلَّ كأنَّ صَفْحَتَهُ أديمُ
٢ — أقامَتْ ليلتين[٢] على مَعانٍ فأعقبَ بعد فترتها جُمومُ
٣ — فرُحنا والجيادُ مسوَّماتٌ[٣] تَنَفَّسُ في مناخرها السَّمومُ
٤ — فلا وأبي ، مآبَ[٤] لنأتينها وإن كانت بها عَرَبٌ وروم

= نصر : الفرع موضع من وراء الفرك « كمنب . ويقال : غرّ إبله بمعنى رعاها . والعكوم ، بالضم ، جمع العكم ، بالكسر ، وهو الكارة ، بمعنى المقدار المعلوم من الطعام . فالمعنى : تطعم هذه الخيل من الحشيش كميات معلومة . ياقوت « قرح » «من آجام قرح يغر » والبكرى « من أجأ وقرح... . لها عكوم » والسمهودى والطبرى وابن عسا « من آجام قرح » .

(١) حذوناها سبتا : ألبسناها نعلا مدبوغا وأملس . والصوان : ضرب من الحجارة واحدتها صوانة . والأزل : الأملس . والصفحة من الشيء : جانبه ووجهه . والأديم : الجلد ، أو أحمره أو مدبوغه .

(٢) السيرة ٢ / ٣٧٥ « ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب ، من أرض البلقاء ، في مئة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له : مالك بن زافلة .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له» ومعان ، بالفتح : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء والفترة : الضعف والسكون . والجموم : اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة ياقوت « من معان » والبكرى واللسان « عون » « وأعقب » .

(٣) مسومات : مرسلات . والسموم : الريح الحارة .

(٤) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . ياقوت « معان » « لآتينها » والبكرى « لتأتينها » وابن عسا « فلا وأبي لنأتيها جميعاً ولو كانت » وطبرى « ولو كانت » .

١ — فعبَّأ نا(٣) أعنّتها فجاءتْ عوابِسَ والغبارُ لها بَريمُ
٢ — بذى لَجَبٍ(٤) كأن البَيض فيه إذا برزت قوانسُها النجوم
٣ — فراضية(٥) المعيشة طلّقتها أسنّتُها فتنكحُ أو تئيمُ

(*)

٤ — أتانى الذى لا يَقْدِرُ الناسُ قَدْرَه لزينبَ فيهِمْ من عُقوقٍ ومأثَمِ
٥ — وإخراجُها لم يُخْزَ فيها محمد على مأقِطٍ(٤) وبيننا عِطْرُ مَنْشَم

---

(١) عبأ الأعنة : جهزها ، والأعنة ، جمع عنان ، ككتاب ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . والبريم : كل ما فيه لونان مختلطان ، فتكون هى وما علاها من الغبار بريما .

(٢) اللجب محركة : الجلبة والصياح . برزت : خرجت إلى البراز أى الفضاء . والقوانس جمع قونس وقونوس ، وهى أعلى بيضة الحديد .

(٣) عيشة راضية بمعنى مَرْضيّة . والمعيشة : التى تعيش بها من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة وما يعاش به أو فيه والجمع معايش . ونكح كمنع وضرب ، وهى ناكح وناكحة : ذات زوج . والأيم ، ككيس : من لا زوج لها بكراً أوثيبا ومن لا امرأة له . وتئيم : تبقى دون زوج . يقال : آمت الزوجة إذا لم تتزوج ، طبرى والاكتفاء « أسنتنا » .

(*) السيرة ١ / ٦٥٥ « قال ابن إسحاق : فقال عبد الله بن رواحة ، أو أبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ، فى الذى كان من أمر زينب (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال ابن هشام : هى لأبى خيثمة » .

(٤) المأقط : معترك الحرب . وعطر منشم ، كناية عن الحرب ، وهو مثل . وأصله فيما زعموا أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب ، فيشترى منها للموتى ، حتى تشاءموا بها لذلك . وقيل : إن قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم فى طيب منشم المذكورة — تأكيدا للحلف ، فضرب طيبها مثلا فى شدة الحرب . وقيل غير ذلك .

١ — وأمسى أبو سفيان من حِلْفِ ضَمْضَمٍ[١]
ومن حَرْبنا في رغم أنفٍ ومندم

٢ — قرنَّا ابنه عَمْرًا ومولى يمينِهِ بذي حَلَقٍ[٢] جَلْدِ الصلاصل محكم

٣ — فأقسمت لا تنفك منا كتائبٌ سَراةُ خميسٍ[٣] في لُهام مسوَّم

٤ — نزوع[٤] قريشَ الكفر حتى نَعُلَّهـا
بخاطمةٍ فوق الأنوف بمِيسم

٥ — ننزِّلهم أكناف نجدٍ ونخلة[٥] وإن يُتْهِموا بالخيل والرَّجل نُتْهِم

٦ — يدَا الدهر حتى لا يعوَّج سِرْبنا[٦]
ونُلحِقهم آثار عادٍ وجُرْهم

٧ — ويَنْدَم قومٌ لم يُطِيعُوا محمَّدًا على أمرهم وأىُّ حين تندّم

٨ — فأبلِـغْ أبا سفيان إمَّا لقيته لئن أنت لم تُخْلِص سجوداً وتسْلِم

٩ — فأبشر بخزيٍ في الحياة معجَّلٍ وسِربال قار خالداً في جهنم

---

(١) هو ابن عمرو الغفاري الذى استأجره أبو سفيان وبعثه إلى مكة وأمره أن يأتى قريشا ويخبرهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد عرض لعيرهم فى أصحابه ففعل ذلك وتجهز القرشيون وانطلقوا ، وكانت وقعة بدر الكبرى . انظر السيرة ١ / ٦٠٧ فما بعدها .

(٢) ذو حلق : نصل . والصلاصل ، جمع صلصلة ، وهى صوت الحديد .

(٣) الخميس : الجيش . واللهام : الكثير .

(٤) نزوع قريش الكفر : نسوقهم كما تساق الإبل . ونعلها : نستذلهم ونعيد عليهم الكرة . ويقال : خطمه بالخطام ، أى جعله على أنفه ، يريد القهر والغلبة . والميسم : الحديدة التى توسم بها الإبل .

(٥) نخلة : موضع على ليلة من مكة .

(٦) السرب : الطريق .

(*)(١)

١ - شهدتُ بأنَّ وعد الله حقٌّ وأنَّ النـارَ مثوى الـكافرينا
٢ - وأن العرشَ فوقَ الماء طافٍ وفوقَ العرش ربُّ العـالمينا
٣ - وتحمِلهُ ملائـكةٌ شدادٌ(٢) ملائـكةُ الإلٰه مسوَّمينا

(**)

١ - يارب(٣) لولا أنت ما اهتدينا

(*)اللسان « عرض » والاستيعاب ٩٠١ وابن عسا ٣٩٢/٧ .

(١) الاستيعاب : « وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة رويناها من وجوه صحاح وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه» وابن عسا « كانت لابن رواحة جارية وكان يستسرها سرا عن أهله فبصرت به امرأته يوماً قد خلا بها فقالت « قد اخترت أمتك على حرتك . – فجاحدها ذلك فقالت له : إن كنت صادقا فاقرأ آية من القرآن : وكان قد حلف ألا يقرأ قرآنا وهو جنب . فقال البيت الأول، فقالت : زدنى آية أخرى . فقال البيت الثانى ، فقالت زدنى آية أخرى فقال : البيت الثالث : فقالت آمنت بالله وكذبت البصر . فأتى ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بذلك فضحك ولم يغير عليه » .

لقد حسبت زوجته أن هذه الأبيات من القرآن .

(٢) الاستيعاب « غلاظ » وابن عسا « كرام . . . . مقربينا » .

(**) الصحيح ٢٤/٤ و ٤٤/٥ ، ٤٥ وابن عسا ٣٩١/٧ وابن سعد ٨٠/٢/٣ و ٥١/١/٢ وفى ٨١/٢ خاصة (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦)ثم : ونحن عن فضلك وما استغنينا ثم (٤ ، ٣) وهذا الرجز جاء منسوباً لعامر بن الأكوع فى كل من السيرة ٣٢٨/٢ (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٣ ، ٤) وأثير ٨٩/٢ (١ - ٤) نظمه فى خير فى كليهما . وصحيح البخارى ٦٨/٥ (١ ، ٢) ثم: فاغفر فداء لك ما أبقينا ثم ٣ ، ٤ ، ٥ ثم: بالصياح عولوا علينا . وابن سعد ٣٨/٢/٤ (١ ، ٢): ثم فاغفر فداء لك ما اقتنينا ثم :(٤ ، ٣)ثم : إنا إذا صيح بنا أتينا وبالصياح عولوا علينا .

و ص ٣٧ (١ - ٤) ثم البيتان الأخيران اللذان جاءا ص ٣٨ .

(٣) البخارى جـ ٤ و ٤٥/٥ « اللهم » وابن سعد ٥١/١/٢ =

١ — ولا[١] تصدَّقنا ولا صلَّينا

٢ — فأنزلَنْ[٢] سكينةً علينا

٣ — وثبِّتِ[٣] الأقدامَ إن لاقينا

٤ — إنَّ الكُفار[٤] قد بغَوْا علينا

٥ — وإنْ[٥] أرادوا فتنةً أبَيْنا

(*)

٦ — باسم الإله وبه بَدِينا[٦]

٧ — ولو عَبَدْنا غيرَه شقينا

= و ٣٧/٢/٤ « لاهم » والبخارى ٥/٤٤ والسيرة « والله لولا الله » وابن عسا وابن سعد ٨١/١/٢ « تالله لولا الله » والبخارى ٥/٦٨ وابن سعد ص ٣٨ « اللهم » .

(١) ابن سعد ٨١/١/٣ « وما تصدقنا وما » .

(٢) ابن سعد ٨١/١/٢ « وأنزلن » والبخارى ٥/٦٨ وابن سعد ٣٨/٢/٤ « وألقين » وابن سعد ص ٣٧ « فألقين » .

(٣) ابن سعد ٨١/١/٢ فثبت

(٤) البخارى ج ٤ « الأعداء » و ج ٥ « الأولى » وابن عسا وابن سعد ٥١/١/٢ « إن الأولى لقد بغوا » والسيرة « إنا إذا قوم بغوا علينا » .

(٥) البخارى ج ٤ و ٥ / ٤٤ وابن سعد ٢ /٥١/١ « إذا » وقبل البيت فى ابن سعد . « قال وكيع : وزاد فيه غيره » .

(*) اللسان والتاج والصحاح « بدا » والجمهرة ٣ / ٢٠٢ .

(٦) بدينا بمعنى بدأنا ، وهى لغة الأنصار . اللسان والصحاح .

١ — وحَبَّـذا[١] رَبًّا وحُبَّ دينا

(*)[٢]

٢ — أقسمْتُ[٣] يا نفسُ لتنزِلِنَّهْ

٣ — لتَنزِلِن[٤] أو لتُـكرَهِنَّهْ

٤ — إنْ أجلَبَ[٥] النَّاسُ وشدُّوا الرَّنَّه

٥ — مالى[٦] أراكِ تـكرهين الجنّـه

٦ — قد[٧] طالمـا قد كنتِ مطمئنّه

---

(١) يقال : حب بفلان، أى ما أحبه . فالمعنى هنا : ما أحبه من دين . ابن دريد « لحبذا » .

(*) السيرة ٢ / ٣٧٩ والاكتفاء ٢/ ٢٧٩ والطبرى ٢ / ١ / ١٦١٥ وأثير ٢ / ٩٨ وابن عسا ٧ / ٣٩٠ (١ — ٦) و ١ /٩٥ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣) والطبقات ١٨٩ (١ ، ٢ ، ٥ ، ٤) وحم بحترى ص ٢ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) وابن سعد ٣ / ٢ ٨٢ (٤،١،٢) والاستيعاب، فى ترجمته ، (١ ،٢، ٥، ٤) و (١، ٢ ،٤، ٥)و(٣، ٦) .

(٢) لما قتل جعفر الطيار فى مؤتة أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال الأبيات .

(٣) ابن سعد « أحلف بالله » وابن عسا ج ١ والاستيعاب « بالله » .

(٤) الطبرى : « طائعة أو فلتـكرهنه » وأثير وابن سعد والاستيعاب « طائعة أو لتـكرهنه » وابن « سلام طائعة » وبحترى « كارهة أو لتطاوعنه » وابن عسا ج ١ (يا نفس طوعا) وج ٧ (طائعة أولا) .

(٥) أجلب الناس : من الجلبة ، وهى اختلاط الصوت . والشد : الارتفاع والتقوية . والرنة : الصوت ، ابن عسا: إذ أجلب .

(٦) ابن سعد : يا نفس « ألا أراك تـكرهين الجنة » . والاستيعاب (جعفر) : ما أطيب ريح الجنة » .

(٧) ابن سلام وابن عسا ج ٧ وطالما وج ١ « وقبل ذا » والاستيعاب : فطالما والرواية الثانية : وقبل ذا ما كنت .

١ — هل أنت إلا نُطْفَةٌ فى[1] شَنَّه

(*)

٢ — وَعَدْنا أبا سُفيان بدرًا فلم نَجِدْ لميعادِهِ صِدْقًا وما كان وافيا

٣ — فأُقسِمُ لو وافَيْتَنا فلقيتَنا لأُبْتَ ذميمًا وافتقَدْتَ المواليا

٤ — تركْنا به أوصالَ عتبةَ وابنه وعَمْرًا أبا جَهْلٍ تركناه ثاويا

٥ — عصَيْتُمْ رسول الله أفٍّ لدِينِكُمْ
وأَمْرِكُمُ السَّيِّئُ الذى كان غاويا

٦ — فإنى وإن عَنَّفْتُمونى لَقائلٌ فِدًى لرسول الله أهلى وماليا

٧ — أطعناه لم نَعْدِلْه فينا بغيره شِهابًا لنا فى ظلمة الليل هاديا

(١) النطفة : قليل ماء يبقى فى دلو أو قربة . والشن وبهاء : القربة الخلق الصغيرة ، والجمع شنان .

(*) السيرة ٢/٢١٠: «وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك (فى إخلاف أبى سفيان لوعده فى المجىء لبدر لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم) قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك» .

خاتمـــة

فى الصفحات السابقة درسنا الشعر الجاهلى لعبد الله بن رواحة وكله فى النقائض تلت ذلك دراسة لشعره الإسلامى ، اتضح من خلالها كيف كان العربى فى الجاهلية فى ضلال مبين ، وكيف تحول ذلك العربى نفسه ، بعد أن أصبح مسلماً لله رب العالمين ، إنساناً بكل ما تحمل هذه اللفظة من معان . وقد تبين لنا أن ابن رواحة بفترتيه الإسلامية والجاهلية من خير الذين ينطبق عليهم قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وقد تلا كل ذلك ديوان ابن رواحة مرتباً مشروحاً متضمناً كل ما ظنناه ضرورياً . نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل ، ويسدد الخطى ، وينير لنا الطريق ، إنه سميع مجيب .

فهرست بالمصادر والمراجع

الآمدى : (أبو القاسم ، الحسن بن بشر الآمدى) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .

ابن الأثير : (على بن محمد) الكامل ، ليدن ١٨٦٩ م بولاق ١٣٩٠ هـ وبيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

ابن حَبِيب : (محمد بن حبيب) كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ، بتحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٥٤ .

ابن حَجَر : (شهاب الدين أحمد بن على) الإصابة في تمييز الصحابة ، كلكته ، ١٨٥٦ – ٨٨) ومصر ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .

ابن حَزْم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ذخائر العرب ، (٢) ، ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م .

ابن الخَطِيم : (قيس) ديوانه ، تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، الطبعة الأولى ، - القاهرة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م والطبعة الثانية بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

ابن دُرَيْد : (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى البصرى) الجمهرة ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، ١٣٤٤ هـ ١٣٤٥ .

ابن سَعْد : (محمد بن سعد الزُّهرى) الطبقات الكبرى ، ليدن ١٩٠٤ — ١٩٢١ .

ابن سَلاّم : (محمد بن سلام الجمحىّ) طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ذخائر العرب (٧) .

ابن عَبْد البر : (يوسف بن عبد الله) الاستيعاب ، تحقيق على محمد البجاوى القاهرة ١٩٥٨ .

ابن عبد ربه : (أبو عمر ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبيارى ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م ١٣٦٨ ، ١٩٤٩ .

ابن عساكر : (على بن الحسن) التاريخ الكبير ، المعروف بتاريخ مدينة دمشق ، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ – ١٣٣٢ والجزء الأول بتحقيق د ، صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق .

ابن قتَيْبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى) عيون الأخبار ، دار الكتب بالقاهرة ، ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م – ١٣٤٩ هـ – ١٩٣٠ م .

ابن منظور : (أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرَم بن منظور الإفريقى المصرى) – لسان العرب ، بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .

ابن هشام : السيرة النبويّة ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م ، حلبى .

أبو تمام : الحماسة بشرح المرزوقى ، تحقيق أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م .

أبو الفرج : (على بن الحسين الأصفهانى) الأغانى ، بولاق ، ١٢٨٤ ، و ١٢٨٥ هـ والدار ١٩٢٧ .

الأنبارى : (محمد بن القاسم) الأضداد ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الكويت ١٩٦٠ .

البحترى : (أبو عبادة) الحماسة، تحقيق كمال مصطفى القاهرة ١٩٢٩.

البخارى : (أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخارى) الصحيح، بولاق ١٢٩٦ هـ.

البغدادى : (عبد القادر بن عمر) الخزانة، القاهرة ١٣٤٨ — ١٣٥١.

البكرى : (عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى) سمط اللآلى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤، ١٩٣٦. معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الأولى، ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م — ١٣٧١ — ١٩٥١ م.

البلاذرى : (أحمد بن يحيى) فتوح البلدان، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مصر ١٩٥٦.

ثعلب : (أبو العباس، أحمد بن يحيى) مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، (ذخائر العرب (١) ١٩٤٨.

الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٨ — ١٩٥٠.

الجواليقى : (أبو منصور، موهوب بن أحمد الجواليقى) شرح أدب الكاتب، القاهرة ١٣٥٠.

الجوهرى : (إسماعيل بن حماد) تاج اللغة وصحاح العربية، بولاق ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م.

حسان : (ابن ثابت) ديوانه، بيروت ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م.

الخالديان : (أبو بكر، محمد الخالدى، وأبو عثمان، سعيد الخالدى) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، تحقيق محمد يوسف ١٩٥٨ م.

الخفاجي : (أحمد شهاب الدين) شرح درة الغواص فى أوهام الخواص ، القسطنطينية ١٢٩٩هـ .

الدَّميري : (محمد بن موسى) حياة الحيوان الكبرى ، بولاق ١٣٨٤ هـ ١٨٦٨ م .

الزَّبيدى (محمد المرتضى بن محمد) تاج العروس من جواهر القاموس ، مصر ١٣٠٦ هـ — ١٣٠٧ .

الزَّمَخْشَرِىّ : (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) أساس البلاغة دار الكتب ، القاهرة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ .

السَّمهودى : (على ، نور الدين أبو الحسن بن عبد الله السمهودى) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ، مكة المكرمة ١٣١٦ هـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى مصر سنة ١٣٢٦ هـ .

السُّهَيْلى : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى) الروض الأُنف ، مصر ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م .

السُّيوطى : (عبد الرحمن ، جلال الدين) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، الطبعة الثالثة ، عيسى البابى الحلبى ، بدون تاريخ .

الطَّبرى : (محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك ، أوربية ، ١٨٨٥ — ١٨٨٩ .

الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، مصر .

القالىُ : (أبو على إسماعيل بن القاسم ، القالى البغدادى) الأمالى ، بولاق ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦م .

القرآن الكريم

القرشى : (أبو زيد ، محمد بن أبى الخطاب) جمهرة أشعار العرب ، الطبعة

الأولى ، بولاق ، ١٣٠٨ هـ وبتحقيق على محمد البجاوى ، مصر ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م ، ومخطوطة بالمتحف البريطانى رقم ٣١٥٨ شرقية ومخطوطة بمكتبة الحرم المكى أدب ٢٨ .

الكلاعى : (أبو الربيع ، سليمان بن موسى الكلاعِىّ الأندلسِى) الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق د . مصطفى عبد الواحد . القاهرة ، ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م .

مالكى : (السيد علوى مالكى ، وحسن سليمان النورى) نيل المرام ، شرح عمدة الأحكام ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

المبرّد : (أبو العباس محمد بن يزيد) الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، السيد شحاته ، مصر ، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ والأوربية ١٨٦٤ م وبتحقيق د . زكى مبارك ، الطبعة الأولى ، مصر ، حلبى ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ هـ والفاضل ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، دار الكتب القاهرة ١٩٥٦ م .

المجنون : ديوانه ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة بدون تاريخ .

المرزُبانى : (أبو عبد الله ، محمد بن عمران المرزبانى) معجم الشعراء القاهرة ١٣٥٤ هـ .

المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

المِنْقَرِى : (نصر بن مزاحم) وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ .

المَيْدانى : (أبو الفضل ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، الميدانى النيسابورى) مجمع الأمثال ، بولاق ١٢٨٤ هـ .

الواقدى : (أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى) المغازى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٧ ، ١٩٤٨ وبتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ، ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م ، الطبعة الثانية .

ياقوت : معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ م ، معجم البلدان أوربية ١٨٦٦ ، ١٨٧٣ والقاهرة ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ وبيروت ، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م .